

بسم الله الرحمن الرحيم

نموذج رقم (٨)

جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
الدراسات العليا

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات المطلوبة

الاسم الرباعي : عبد الله علي حسن ال خليل الزيلعي
القسم : التربية الإسلامية والمقارنة
الدرجة العلمية : الماجستير
التخصص : التربية الإسلامية
عنوان الأطروحة : الفلسفة البراجماتية في مجال التربية دراسة نقدية تحليلية من وجهة نظر التربية الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد ، ، ،
فبناء على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة عاليه والتي تمت مناقشتها بتاريخ
٢٢ / ١ / ١٤١٦ هـ بقبول الأطروحة بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم فإن اللجنة
المذكورة توصي بإجازة الأطروحة في صيغتها النهائية المرفقة كمتطلب تكميلي للدرجة العلمية المذكورة
أعلاه والله الموفق .

أعضاء اللجنة

مناقش من خارج القسم

مناقش من القسم

المشرف

الشيخ محمد قطب

د . محمد أحمد الصادق كيلاني

الاسم : د . عمر بن حسن العطار

67

التوقيع : محمد بن حسن العطار

رئيس قسم التربية الإسلامية والمقارنة

د . محمد جميل فياط

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
كلية التربية
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

سجل
١٠٠٣٨٧

٢٠٠٤

الفلسفة البراجماتية في مجال التربية

دراسة نقدية تحليلية من وجهة نظر التربية الإسلامية

بحث مقدم متطلباً تكميلاً لنيل درجة الماجستير
من قسم التربية الإسلامية والمقارنة

إعداد الطالب

عبد الله بن علي بن حسن آل خليل الزيلحي

إشراف الدكتور

عمر بن حسين عطار

الفصل الدراسي الثاني

١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طویلے

ملخص البحث

عنوان الدراسة : الفلسفة البراجماتية في مجال التربية ، دراسة نقدية تحليلية من وجهة التربية الإسلامية .

يشتمل البحث على خمسة فصول يتناول الفصل الأول المقدمة ، وموضوع البحث وأهميته ، وأهدافه ، وحدوده ، وتساؤلاته ، ومنهجه ، والدراسات السابقة وتحديد مصطلحاته ، كما يتناول الفصل الثاني مدخلاً تاريخياً للفلسفة البراجماتية وروادها وتعريفها ووضعها الفلسفي وطبيعتها ونظرتها للكون والحياة ، ونظرتها للمعرفة والقيم .

كما اشتمل الفصل الثالث على طبيعة التربية البراجماتية ، ومادة التربية فيها ، وحقيقة التربية لدى فلاسفتها ، وطبيعة أهدافها ، وتحديد هدفها وهل هو ثابت أم متغير نسبياً أم مطلقاً ، ثم الفلسفة البراجماتية وطبيعة منهجها ، وما يتصل بطريقة التدريس ، وما يتصل بالمدرسة والمجتمع ، وما يتعلق بتربية الطفل ، وبالمعلم ونوعيته كما يشتمل الفصل الرابع على وجهة نظر التربية الإسلامية حول النظرية البراجماتية ويحتوي على تمهيد وإيجابياتها وسلبياتها ، ثم نقدها من وجهة نظر التربية الإسلامية كما يشتمل الفصل الخامس على النتائج والتوصيات .

أبرز نتائج البحث :

- إنه لما أبتعدت هذه الأمة عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ وانحرفت عن منهج الله الذي ارتضاه لها بدأت طلائع الغزو الفكري المادي متمثلة في التيارات الفكرية المادية تغزو المجتمعات الإسلامية تحت مسميات كثيرة ومتنوعة كالبراجماتية والوجودية والماركسية وغيرها .
- صارت التعاليم السماوية تؤول وتكيف على حسب مصلحة الشخص ومنفعته .
- لكي نحدد موقعنا نحن المسلمين من المفاهيم البراجماتية خاصة والمفاهيم الغربية عامة لابد أن نقرر أن العقيدة الإسلامية هي المنطلق الذي تبنى على ضوئه كافة مواقفنا الإسلامية .

أبرز توصيات البحث :

- دراسة الفلسفات الغربية الأخرى دراسة واعية تقوم على أسس سليمة تستخلص منها النافع وترد ما سواه مما يتعارض مع فكرنا وقيمنا الإسلامية .
- التربية الإسلامية لها اسهامات في شتى المجالات فعلى طلبة العلم والباحثين الرجوع إلى أصولها ومصادرها (الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح)

عميد الكلية

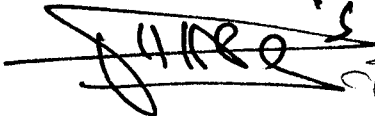
المشرف

الباحث

د. عبد العزيز بن عبد الله خياط

د. عمر بن حسين عطار

عبد الله بن علي بن حسن آل خليل الزيلعي



الافتتاح

إلى كل مهتم بأمر هذا الدين ...
إلى كل باحث في التربية الإسلامية ...
إلى من ربياني صغيراً إلى والديّ ...
إلى أخي وشقيقي خضر الذي بذل جهداً في إعدادي ...
إلى عائلتي الصغيرة التي صبرت عليّ خلال هذه الدراسة ...
إلى كل من أعانني بنصح أو إرشاد أو توجيه أثناء كتابة هذه الرسالة ...
إليهم جميعاً أهدي هذه الدراسة وجزاهم الله خير الجزاء ...

والحمد لله رب العالمين .

الباحث

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى ، وأشكره سبحانه وتعالى بما يكافئ نعمة التي لا تحصى .

فحمداً له على الإتمام ، والشكر له على ما من به عليّ من مساعدة كثير من الأنام ، فالشكر لهم واجب وهو أداء الشكر هذه النعمة والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والرسول محمد بن عبد الله القائل « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » .

فمما يتناسب والحال أن أتقدم بالشكر بعد شكر الله تعالى لاستاذي الفاضل سعادة الدكتور عمر بن حسين عطار الذي كان لتوجيهه وإشرافه على هذه الدراسة بالغ الأثر في إخراجها على الوجه الذي هي عليه فجزاه الله خير الجزاء .

كما أشكر أستاذي سعادة الدكتور محمد عيسى فهيم الذي أشرف على هذه الدراسة أولاً لتوجيهه وإرشاده وإعازتي بعض الكتب المتعلقة بالبحث .

كما أشكر سعادة رئيس القسم الأستاذ الدكتور محمد جميل خياط وجميع أعضاء هيئة التدريس الذين ساهموا في تعليمي وتوجيهي فجزاهم الله جميعاً عني خيراً .

كما أشكر مناقشي هذه الدراسة سعادة الدكتور الشيخ محمد قطب وسعادة الأستاذ الدكتور محمد أحمد الصادق كيلاني اللذين تفضلاً بمناقشة هذه الرسالة فلهم مني الشكر والتقدير .

والحمد لله رب العالمين .

الباعث

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
قائمة المحتويات	د

الفصل الأول

(التمهيدي)

١ - المقدمة	٢
٢ - موضوع البحث	٦
٣ - أهمية البحث	٧
٤ - أهداف البحث	٧
٥ - حدود البحث	٧
٦ - تساؤلات البحث	٨
٧ - منهج البحث	٨
٨ - الدراسات السابقة	٩
٩ - تحديد مصطلحات البحث	١٣

الفصل الثاني

الجانب الفلسفي للفلسفة البراجماتية

مدخل تأريخي للفلسفة البراجماتية	١٦
رواد الفلسفة البراجماتية	١٨
تعريف الفلسفة البراجماتية كما عرفها أصحابها	٢٢

- ٢٤ الوضع الفلسفي للنظرية البراجماتية
٢٦ المبادئ الأساسية للنظرية البراجماتية
٢٨ نظرة الفلسفة البراجماتية للكون والحياة
٢٩ نظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة والقيم

الفصل الثالث

النظرية التربوية البراجماتية

- ٣١ ١- طبيعة التربية البراجماتية
٣٢ ٢- مادة التربية في الفلسفة البراجماتية
٣٣ ٣- حقيقة التربية لدى الفلاسفة البراجماتيين
٣٤ ٤- الفلسفة البراجماتية وطبيعة الأهداف التربوية
٣٥ ٥- تحديد الأهداف
٣٥ ٦- طبيعة الهدف
٣٧ ٧- الهدف عند الفلسفة البراجماتية متغير وليس ثابت
٣٨ ٨- الأهداف عند الفلسفة البراجماتية نسبية وليست مطلقة
٣٩ ٩- الفلسفة البراجماتية وطبيعة المنهج
٤٤ ١٠- الفلسفة البراجماتية وما يتصل بطريقة التدريس
٤٨ ١١- الفلسفة البراجماتية وما يتصل بالمدرسة والمجتمع
٥٣ ١٢- الفلسفة البراجماتية وما يتصل بتربية الطفل
٥٦ ١٣- الفلسفة البراجماتية وما يتصل بالمعلم ونوعيته

الفصل الرابع

وجهة نظر التربية الإسلامية حول النظرية البراجماتية

- ٦٤ إيجابيات الفلسفة البراجماتية
٦٦ المآخذ والسلبيات على الفلسفة البراجماتية
٧٠ نقد الفلسفة البراجماتية من وجهة نظر التربية الإسلامية
أ- الجانب الفلسفي

- ٧١ ١- ما يتصل بنظرتها للكون والحياة.
٧٤ ٢- ما يتصل بنظرتها للإنسان
٧٦ ٣- ما يتصل بنظرتها للمعرفة والقيم
ب- الجانب التربوي :

- ٨٧ ١- ما يتصل بمادة التربية
٩٠ ٢- ما يتصل بطبيعة الأهداف
٩٤ ٣- ما يتصل بالمنهج
٩٩ ٤- ما يتصل بطريقة التدريس
١٠٢ ٥- ما يتصل بتربية الطفل
١٠٥ ٦- ما يتصل بالمعلم ونوعيته

الفصل الخامس

الخاتمة

- ١٠٨ النتائج
١٠٩ التوصيات
١١١ المصادر والمراجع

الفصل الأول

(التمهيد)

- ١- المقدمة
- ٢- موضوع الدراسة
- ٣- أهمية الدراسة
- ٤- أهداف الدراسة
- ٥- حدود الدراسة
- ٦- تساؤلات الدراسة
- ٧- منهج الدراسة
- ٨- الدراسات السابقة
- ٩- تحديد مصطلحات الدراسة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢) .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلَحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الاحزاب : ٧٠ ، ٧١)

وبعد :

ففي واقعنا المعاصر اليوم ألوان من الصراع تستحق الدراسة والبحث والتأمل ، وإذا كان الصراع السياسي والاقتصادي هو أبرز ما يلفت الأنظار . وقد يظهر أخطرها ، ولكن عند التأمل يبدو أقل خطورة من الصراع الفكري والثقافي والحضاري ، وذلك لأن الظروف السياسية والإقتصادية سريعة التبدل والتغير ،

أما التغير الفكري والحضاري فهو بطيء في سريانه وفي تفاعله ولكنه في نفس الوقت أثره طويل المدى ، فليس من السهل فصل الناس عما ألفوا من عادات وما توارثوا من عقائد . وما أكثر ما عانى دعاة الإصلاح من ذلك مع شعوبهم ، بل ما أكثر ما عانى منه الأنبياء والمرسلين - صلوات الله عليهم - والقرآن الكريم يصور ذلك في مواضع كثيرة : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة : ١٧٠) .

هذا يدل على أن التأثير الفكري يبقى مفعوله طويلاً ، وأن النفس إذا ألفت شيئاً لم تكد تتحول عنه إلا بعد وقت طويل . والتأثير الفكري الثقافي عميق الجذور صعب العلاج بقدر ما هو بطيء التفاعل والتحول .

والتأثير فكرياً ظاهرة كونية تعمل على مر الأزمان واختلاف البيئات وهو بعض ما تتضمنه الآية الكريمة : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) .

من خلال هذا الظاهرة الكونية تتقدم البشرية فينقل أقوام عن غيرهم أحسن ما عندهم مما استحدثوه ، وتتخلص الأمة من عناصر الضعف وعوامل التخلف التي تتسرب إلى النفوس عبر الأجيال . والله سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس فتبدو الأمم في فترة من فترات التاريخ مؤثرة في غيرها (في حال قوتها) ،

بينما في وقت آخر تكون متأثرة في حال ضعفها، وإن كانت في حال قوتها لا تخلو من التأثير وفي حال ضعفها لا تخلو من التأثير، ولكن المجتمعات ليست في ذلك سواء، فالأمة القوية لا تأخذ في هذا الصراع إلا ما يثبت كيانها ويبرز خصائصها التي تميز بها ذاتها، بينما تأخذ المجتمعات الضعيفة كل ما يساق إليها وينتهي بها الأمر إلى أن تفقد خصائصها التي بها قوامها؛ لذلك أفاد المسلمون من هذا حين كانوا أمة قوية في صدر الإسلام، وخسروا في الواقع المعاصر لأنهم في موقع ضعف يتوهمون فيه أن كل ما عند غيرهم هو خير مما عندهم.

ومواقف المجتمعات الإسلامية من حضارة الغرب وفكره قد تفاوتت واختلفت اختلافاً واضحاً بين رافض لكل ما جاء به الغرب، ومقبل على معطيات الغرب وعلومه دون تمحيص، ظناً منهم أن ما عند الغرب خير مما عندهم، وذلك في مرحلة الضعف العلمي الثقافي التي عاشتها أكثر المجتمعات الإسلامية، وهناك فريق ثالث يقوم على الاعتدال والتوسط متبعاً نهج النبي ﷺ «الحكمة ضالة المؤمن».

لذا يرى الباحث أن الموقف الأول موقف سلبي، حيث يسد كل منافذ التأثير المتبادل التي تسعى إليه شعوب الإنسانية عبر مراحلها التاريخية وهي سنة كونية لا سبيل إلى معارضتها أو تنكب طريقها.

بينما الموقف الثاني أشد خطراً وأدعى إلى جعل الأمة عرضة للضياع

وفقدان هويتها الثقافية والحضارية .

ولهذا فالرأي الثالث يدعو إلى التوسط والاعتدال إذ إنه لا يوصد الأبواب في وجه التأثير والتأثير المتبادلين ، ويرى أن الأخذ من الغرب مرهون بموافقة منهج الأمة وقيمها الثابتة وملبياً لاحتياجاتها أيضاً .

إن أية أمة لا تحيا في عزلة عن الأمم الأخرى بل تتعايش معها وتتبادل المنافع مع غيرها تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (الحجرات : ١٣) .

والأمم ذات الثراء الحضاري والفكري كأمتنا الإسلامية لا تخشى هذا التفاعل مع غيرها من الأمم لأنها تدرك قيمة ما تحمله للبشرية من خير وهداية في عصر تعيش فيه شعوب البشرية في حالة خواء فكري وهبوط مزري في عالم القيم ، وربما مرت بأمتنا ظروف عصيبة أفقدتها القدرة على التأثير في غيرها وجعلتها عرضة للتأثر بالمجتمعات الغربية المعاصرة ، والتأثر بالغرب تجلّى واضحاً في مجالي التربية والتعليم ، فنقلت نظريات إلى المجتمعات الإسلامية والعربية ، وكان أبرزها الفلسفة البراجماتية التي تغلغت وانتشرت في المجتمعات الإسلامية والعربية ، وذلك نتيجة للنفوذ الأمريكي في هذه المجتمعات وبسبب غياب هذه المجتمعات عن مواقع التأثير العلمي والتقني في غيرها من الأمم .

ولكون هذه النظرية لها مبادئ ومنطلقات تختلف عن مبادئنا وقيمنا وأهدافنا وذلك لنموها ونشوتها في بيئة مغايرة بشكل كلي لمبادئنا وقيمنا - فقد رأى الباحث دراسة هذه الفلسفة من أجل معرفة ما يتفق منها مع تصوراتنا وقيمنا وما يختلف عنها، ولهذا لابد أن نتساءل :

١- هل تتفق الأفكار البراجماتية مع تصوراتنا الإسلامية ؟

٢- ما هي الإشكاليات المتعلقة بالفلسفة البراجماتية ؟

٣- ثم ما المقومات التي تركز عليها أهدافنا التربوية ؟

وقبل أن نقوم بالإجابة على هذه الأسئلة لابد من طرح السؤال التالي :

٤- ما هي طبيعة الفلسفة البراجماتية ؟

موضوع الدراسة :

النظرية التربوية البراجماتية أو التقدمية واحدة من أبرز النظريات التربوية في العصر الحديث ، ويطلق عليها أحياناً الأدائية أو الوظيفية أو التجريبية أو العلمية أو الذرائعية .

ويرى أصحاب هذه النظرية أن الطبيعة الإنسانية مرنة وظيفية، وأن الحقيقة يمكن معرفتها من خلال نتائجها التجريبية عندما توضع في موقف علمي فعلي، والبحث يركز على محاولة بيان النظرية التربوية البراجماتية ونظرتها للكون والإنسان والحياة وتطبيقاتها التربوية، ومن ثم بيان وجهة نظر التربية الإسلامية حولها .

أهمية الدراسة :

- تعد النظرية البراجماتية من أهم النظريات الغربية التربوية وأكثرها شيوعاً في العصر الحديث . والباحث يرى أن هذه الدراسة :
- أولاً : تسهم في إلقاء مزيد من الضوء على النظرية التربوية البراجماتية .
- ثانياً : إنها دراسة تحليلية نقدية للنظرية البراجماتية في مجال التربية .
- ثالثاً : تسهم هذه الدراسة في تنوير المسلمين في فهم النظرية البراجماتية وخاصة القائمين على التربية والتعليم في المجتمعات الإسلامية والعربية خاصة .

أهداف الدراسة :

- أولاً : إبراز الجانب الفلسفي للنظرية البراجماتية في التربية ونظرتها للكون والإنسان والحياة .
- ثانياً : إظهار التطبيقات التربوية للنظرية البراجماتية من خلال كتابات أصحابها أمثال « جون ديوي » ، « وليم جيمس » ، وغيرهما .
- ثالثاً : نقد الأفكار البراجماتية في مجال التربية ومحاكمتها من وجهة نظر التربية الإسلامية .

حدود الدراسة :

- الفلسفة البراجماتية لها كثير من التطبيقات في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية ، وقد رأى الباحث أن تقتصر الدراسة على

الجانب التربوي للفلسفة البراجماتية بعد معرفة نظرتها للكون والإنسان والحياة ،
ومن ثم مناقشة الأفكار التربوية للنظرية البراجماتية ومعرفة ما يوافق التربية
الإسلامية وما يخالفها .

تساؤلات الدراسة :

— ما هي طبيعة الفلسفة البراجماتية في مجال التربية ؟ ويلقي الضوء من
خلاله على :

١- نظرة الفلسفة البراجماتية للكون والحياة .

٢- نظرة الفلسفة البراجماتية للإنسان .

٣- نظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة والقيم .

— ما هي الإشكاليات المتعلقة بالنظرية البراجماتية ؟

— ما هي وجهة نظر التربية الإسلامية منها ؟

منهج الدراسة :

سيستخدم الباحث إن شاء الله تعالى في هذه الدراسة :

المنهج النقدي التحليلي ، وهو معالجة النصوص الفلسفية من خلال ثلاث

مستويات هي :

— **المستوى التحليلي** : وهو التعامل المباشر مع النص كما هو من حيث لغته

ومناهجة وأفكاره وهكذا نتابع كلمات النص من أجل

تحديد معناها اللغوي ومفهومها الفلسفي باستخدام
المعاجم اللغوية ، ويتم في هذا المستوى استخراج
وتحليل عناصر وجزئيات أفكار النص .

— المستوى التركيبي : كتابة النص كتابة جديدة تجعل النص أكثر وضوحاً
وتبرز مفاهيمه الفلسفية ومضمون عناصره الفلسفي
والفكري ؛ لأن محاور أفكار النص هو "الفكرة
الرئيسية" .

— المستوى النقدي : وهو التعامل مع النص من الخارج ، أي استنتاج لغويات
النص ومناقشة خطابه وتقويم هذا الخطاب والخلفية
الفلسفية أو المذهبية التي ينتمي لها هذا النص (انتصار ،
١٩٨٥ م ، ص ١٤ ، ١٥) .

الدراسات السابقة :

الدراسات في هذا الموضوع تدور حول الموضوعات التربوية التالية :

أولاً : مبدأ التربية عند البراجماتية :

هو أن الطفل وبيئته الطبيعية والاجتماعية والتفاعل بينهما — هو الذي ينتج
خبرته — وعلى المربي أن يتأكد دائماً أن الطفل معرض لهذا التفاعل الحريته وبين

بيئته الطبيعية والاجتماعية معاً (عبد العزيز ، ١٩٦٩م ، ص ١٠٧) .

كما أن عبد الله عبد الدائم أورد ذلك في كتابه وقال أن مفتاح التربية التقدمية ومبدأها الأساسي هو جعلها الطفل محور عملية التربية والتعليم ؛ لأنها تعتقد أن الأطفال يتعلمون الأشياء المترابطة الأجزاء التي لها معنى عندهم والمبنية على خبراتهم ؛ لأن لدى الأطفال رغبة فطرية في التعلم ، أي أن التربية الاجتماعية تؤكد على أهمية الانطلاق من الطفل من قابلياته وميوله وطباعه وشعارها : " التربية لأجل الطفل ومن الطفل " . (عبد الدائم ، ١٩٧٨م ، ص ٥١٩) .

ثانياً : الأهداف التربوية :

تؤمن الفلسفة الاجتماعية أن التربية عملية حياة وليست إعداداً لحياة مستقبلية . فالطفل ينبغي أن يعيش حياته وفق ميوله واهتماماته وحاجاته ، وهذا يتناسب مع فلسفة التغيير التي تقوم عليها الاجتماعية . إذاً فالتربية الاجتماعية ترى أن يكون هدفها الذي تسعى إليه نابعاً من داخل العملية نفسها وليس خارجاً عنها بمعنى ألا يكون هناك أهداف مفروضة من الخارج ، وأن يكون الهدف وليد الظروف الراهنة من الموقف نفسه نابعاً من بيئة المشكلة ذاتها .

فالهدف عند الاجتماعيين يتصف بالمرونة والنسبية ولا ينفصل عن

وسيلته . (مرسي ، ١٩٨٨م ، ص ٢٢٧) .

ثالثاً : المنهج البراجماتي :

يخاطب المتعلم ككل وينظر إليه على أنه كائن حي يتفاعل تفاعلاً مستمراً مع بيئته فيكتسب خبرات متعددة تؤدي إلى تعديل سلوكه . (سرحان وآخرون ، ١٩٦٦ م ، ص ٩٢) .

كما تؤمن البراجماتية بأن المدرسة هي صورة الحياة الاجتماعية التي تتركز فيها جميع الوسائل التي تهيء الطفل إلى المشاركة في مسيرات الجنس البشري وإلى استخدام قواه الخاصة لتحقيق الغايات الاجتماعية كما أنها تتصور التربية تجديداً مستمراً للخبرة وأن عملية التربية والغاية منها شيء واحد .

فالمنهاج البراجماتي لا يبني على أساس ملء عقول التلاميذ بالحقائق الثابتة المطلقة بل على أساس إعادة بناء وتنظيم للخبرات الجديدة التي تضاف إلى الخبرات السابقة والتي من شأنها أن تساعد في القدرة على توجيه الخبرات اللاحقة والمنهج البراجماتي يهدف إلى خدمة المجتمع عن طريق تقديم ما تثبت التجارب صحته . (عبدالرحمن ١٩٦٧ م ، ص ١٠٨) .

وترى البراجماتية أن الكتاب المدرسي قد تغيرت وظيفته فلم يعد إلا مجرد مرشد للتلميذ يوفر عليه الوقت والجهد ، ولم يعد الكتاب والمعلم هما وحدهما اللذان يقومان بعملية التربية بل أصبحت العين واليد والأذن والجسم كلها مصادر يستقي منها الطفل المعلومات .



لقد أصبح المعلم والكتاب بداية تفتح الطريق للمعرفة ونهاية يختبر فيها ما حصله التلميذ من معرفة ، ولا يمكن أن يحل محل الخبرة الشخصية .
(ديوي ، د.ت ، ص ١٣٤) .

رابعاً : طريق التدريس :

إن طريقة المشروع هي أهم طريقة للتدريس تتميز بها البراجماتية وطريقة المشروع تفترض وجود مشاكل عملية في الحياة تضعها أمام الطفل تتحدى تفكيره ويشعر في حلها بطريقة عملية . (عبد العزيز ، ١٩٦٩م ، ص ١١٠) .

وترى النظرية البراجماتية أن مسألة الطريقة ترجع في النهاية إلى مسألة ترتيب نمو قوى الطفل واهتمامته وأن القانون الخاص بتقديم المواد لمعالجتها هو القانون الذي تضمنته طبيعة الطفل ذاتها . (عبد الرحمن ١٩٦٧م ، ص ١١٠) .

والطريقة البراجماتية تعتمد أساساً على المبادئ التي تقوم على الخبرة والتفاعل كما تقوم على التغير والنمو ، وتقوم أيضاً على التفكير السليم . (مرسي ١٩٨٨م ، ص ٢٣٣) .

خامساً : المدرس :

يعتبر المدرس عند البراجماتيين العامل الفعال في العملية التربوية ولا تقدمه بطريقة معينة ؛ لأن هذه النظرية تؤمن أن المدرس بعد أن يفهم طبيعة مادته

وطبيعة تلاميذه وإمكانية المدرسة، عليه أن يختار الطريقة المناسبة . آخذاً بعين الاعتبار إمكانياته هو أيضاً ، المهم أن يكون المدرس مرناً يشرك الطلبة معه في أسلوب ديمقراطي في محاولة الإمام بجوانب الموضوع وفي تحقيق الأهداف المتفق عليها تعاونياً . (كالتون ، ١٩٥٦ م ، ص ٦٢) .

ويقول هاني عبد الرحمن "إن المدرس في النظرية البراجماتية ليست مهمته مجرد تدريس الأفراد بل تكوين الحياة الاجتماعية الصحيحة" . (عبد الرحمن ١٩٦٧ م ، ص ١١٣) .

وللنظرية البراجماتية تطبيقات في السلوك والبناء المدرسي والنشاطات اللاصفية كل هذه تناولها أصحاب النظرية .

وجميع هذه الدراسات لم تخص منها دراسة بالنظرية البراجماتية في مجال التربية ، فرأى الباحث جمع هذه الدراسات ومعرفة النظرية البراجماتية في مجال التربية وتطبيقاتها التربوية ، ومن ثم معرفة وجهة نظر التربية الإسلامية لها . وهذا منطلق دراسة الباحث لهذه النظرية .

تحديد مصطلحات الدراسة البراجماتية :

لفظ براجماتية مشتقة أساساً من اللفظ الأغريقي (*pragma*) وهو يعني العمل ، إذا كان الفكر القديم قد استخدم هذه الكلمة لفظاً وفعلاً – وإن كان

بشكل غير واضح ومتميز - فإن البراجماتية كـفلسفة حديثة قد تحدت معالمها ووظائفها وأهدافها التي تسعى إليها .

وشأن البراجماتية شأن أي فلسفة أخرى فهي صورة فكرية متناسقة للواقع الذي نجمت عنه كما أنها تعكس المؤثرات الثقافية المختلفة التي أسهمت في حدوثها . (مرسي ١٩٨٨ م ، ص ٩٤) .

ومن أوضح خصائصها نظرتها للحقيقة ، حيث ترى هذه الفلسفة أن جوهر الحقيقة يكمن في ثمرة استعمالها مرشداً لأعمالنا وسلوكنا أي أن الحقيقة يمكن معرفتها من خلال نتائجها التجريبية . (عبد الرحمن ١٩٦٧ م ، ص ٦٩) .

الفصل الثاني

الجانب الفلسفي للنظرية البراجماتية

مدخل تاريخي للفلسفة البراجماتية

رواد الفلسفة البراجماتية

تعريف الفلسفة البراجماتية كما عرفها أصحابها

الوضع الفلسفي للنظرية البراجماتية

المبادئ الأساسية للنظرية البراجماتية

نظرة الفلسفة البراجماتية للكون والحياة

نظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة والقيم

مدخل تاريخي للفلسفة البراجماتية :

إن كل فلسفة لها جذور وامتدادات تاريخية ورواد ممهّدون يعتبرون أساتذة لهذه الفلسفة أو تلك . والفلسفة البراجماتية لا تخرج عن هذا التطور فهناك فلاسفة ساهموا في إرساء قواعدها بدءاً من العصر اليوناني . ولإلقاء نظرة تاريخية على الفلسفة البراجماتية رأى الباحث أن يبدأ من (هيرقليطيس) *Heraclitus* وهو فيلسوف يوناني عاش من سنة ٥٣٥-٤٧٥ قبل الميلاد فقد آمن هذا الفيلسوف بفكرة التغير المستمر ، وبأن الحقائق الثابتة المطلقة لا وجود لها كما أن الإنسان يضيع وقته وجهده في البحث عنها . وقوله هذا يمثل أحد أركان الفلسفة البراجماتية . أما (كوينتيليان) *Quintilian* المدرس والخطيب الروماني والذي عاش من سنة ٣٥-٩٥ الميلادي فقد آمن بأن الممارسة العملية هي التعلم مخالفاً بذلك الفلسفة المثالية القائلة بأنه من خلال الإيحاء يصل إلى الحقائق والمعرفة ، وبالرغم من أن مفهوم البراجماتية قد ظهر لدى هذين الفيلسوفين وغيرهما إلا أن البراجماتية المعاصرة حديثة الأصل قال (بتلر) *Butler* : « إن البراجماتية فلسفة أمريكية معاصرة حديثة المولد » . (عبدالرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٧٠) .

ولقد ظهرت الأفكار البراجماتية واضحة في أمريكا بدءاً من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وأهم من ساهم في ذلك (تشارلز بيرس) و (وليم

جيمس) و (جون ديوي) الأول في مقاله (كيف نوضح أفكارنا) وقد تأثر بالتقدم العلمي في زمنه مما دفعه إلى البحث عن طريقة ليتأكد من صدق المعرفة التي يتوصل إليها، كما إنه اهتم بمشكلة التعبيرات اللفظية وقال إنها لا تعطي معنىً واضحاً ثابتاً إلا من خلال موقف عملي . قال تشارلز بيرس : « لكي تحدد معنى أي فكرة ضعها في موقف عملي وعندها تحدد نتائجها معناها » (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٧١) .

أما الثالث (جون ديوي) فيعزى إليه تطوير الفلسفة البراجماتية إلى فلسفة كاملة وتطبيق مبادئها في كل مجالات الخبرات الإنسانية . فقد عارض الفلسفات التقليدية، وسعى إلى بناء مجتمع أفضل على أساس راسخ من الاستقصاء العلمي . فعمليات التغير الطبيعي الإنساني المستمرة تستحث الإنسان لكي يعيد تشكيل الأفكار والمؤسسات الاجتماعية باستمرار ، وأنه من غير الممكن في زمننا هذا الوصول إلى حقائق مطلقة ثابتة وأن اختيار الفروض عن طريق التجربة هو خير وسيلة للوصول إلى المعرفة الصادقة . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٧٤) .

رواد الفلسفة البراجماتية :-

إذا صرفنا النظر عن الفلاسفة اليونانيين والرومانيين الذين كانت لهم آراء وأفكار تعد اللبنة الأولى للفلسفة البراجماتية فإننا نستطيع القول أن البراجماتية المعاصرة قد ساهم في توضيح مبادئها والدعاية لها الكثير من الفلاسفة والمربين الأمريكيين ولكن ثلاثة منهم يمكن أن يعتبروا المؤسسين الحقيقيين لهذه الفلسفة وهم :

١- تشارلز بيرس *Charless Pierce* (١٨٣٩-١٩١٤م)

٢- وليم جيمس *William James* (١٨٤٢-١٩٢٠م) .

٣- جون ديوي *John Dewey* (١٨٥٩-١٩٥٢م) .

لقد كان (بيرس) فيلسوفاً رياضياً عالجاً الكثير من المشكلات الفلسفية ابتداءً من المنطق والعلم والميتافيزيقا حتى القيم، ويذكر (جون ديوي) أن (بيرس) أخذ لفظ البراجماتية عن الفيلسوف (كانت) وبيرس في نظر ديوي هو المؤسس الأول للفلسفة البراجماتية أو الفلسفة الوسييلية ، ويقول إن بيرس اطلع على فلسفة (كانت) ففي كتابه ميتافيزيقا الأخلاق ، كان (كانت) يميز بين ما هو براجماتي وبين ما هو عملي ، فالعملي ينطبق على القوانين الأخلاقية الأولية ، بينما البراجماتي ينطبق على قواعد الفن وأسلوب التناول الذي يعتمد على الخبرة ويطبق في مجال الخبرة .

(ونظرة بيرس) تقوم على أساس أن المدلول العقلي لكلمة من الكلمات أو عبارة من العبارات إنما يكون في تأثيرها المقصود في مجرى الحياة ، لذا فإن الشيء إذا لم يكن ناتجاً عن تجربة فإنه لا يمكن أن يكون له تأثير مباشر على السلوك فالبراجماتية في رأي (تشارلز بيرس) ليست مجرد أداة لنفع خاص أو فائدة معينة وهي لا تمجد العمل لذاته ، وإنما تعني أننا لكي نفهم المدركات العقلية فلا بد أن نكون قادرين على تطبيقها (مرسى ، ١٩٨٨ م ، ص ٩٧) .

أما (وليم جيمس ، ١٤٨٢-١٩٢٠ م) فقد كانت فلسفته تجريبية وقد كان جل اهتمامه بتحديد المشكلات الفلسفية وأراد أن يحدد ما إذا كانت هناك مشكلات فلسفية معينة لها معنى حيوي يقيني أو أنها مجرد لغو وشقشقة لفظية، ومذهب (وليم جيمس) مذهب عملي يقوم على التغير والضرورة والتعدد فالعالم في نظره عبارة عن حقيقة مرنة غير ناضجة يمكن وصفها بالتغير والحركة المستمرة ومن ثم فإن فلسفته تجعل المستقبل مفتوحاً دائماً لا مستقبلاً جامداً ثابتاً .

والفيلسوف البراجماتي في رأي (جيمس) هو الذي يشاهد الأشياء عن قرب ويراهها من حيث الوشائج التي تربط بينها ، وكيف تتشكل هذه الأشياء بأشكال مختلفة، ومن خلال الروابط . والفكرة تكمن في النتيجة التي تترتب عليها ، وللنتيجة في رأي (جيمس) معنيان مختلفان :

المعنى الأول : ويقصد به أن أية قضية عبارة عن نتائجها المباشرة التي يمكن التحقق منها بالتجربة .

المعنى الثاني : يقصد به النتائج غير المباشرة التي تترتب على الإيمان بفكرة أو التمسك بمبدأ .

ومن حيث انتهى (بيرس) بدأ (جيمس) وانتهى إلى تغيير نظرة (بيرس) عندما جعل النتائج الخاصة لفكرة من الأفكار هي مقياس صدقها بدلاً من نتائجها العامة ، إلا أنه زاد في نظريته بحيث شملت كل الأفكار وبخاصة المعتقدات الدينية . (مرسي ، ١٩٨٨ م ، ص ٩٨ - ٩٩) .

أما (جون ديوي ، ١٨٥٩ - ١٩٥٢ م) فيعد المؤسس الأول في تحديد معالم الفلسفة البراجماتية الحديثة ، ويعد من أبرز فلاسفة العصر الحاضر لا في أمريكا فحسب بل في جميع أنحاء العالم ، فهو فيلسوف أمريكي المعبر عن اتجاهاتها العقلية يقول عنه الاستاذ (ويكهويرن) تعتمد شهرة (جون ديوي) في أساسها على مساهماته البارزة في عالم الأفكار فهو أحد كبار الفلاسفة الحقيقيين في القرن الحاضر وهو أبرز المفكرين التربويين في أمريكا وقد امتد أثر فلسفته إلى ميادين شتى في البحث كعلم النفس ، والعلوم السياسية ، والاقتصاد السياسي ، وعلم الاجتماع ، والدين ، والتربية بحيث تأثرت . جميعها بقوة فكره وأصالته ، « وإذا كان هناك من جديد قد أضافه (جون ديوي) على البراجماتية

كما عرفت لدى بيرس وجيمس فهو أنه قد جعل من البراجماتية منهجاً علمياً تجريبياً محدداً ، ينظر إلى التصورات والنظريات والأفكار على أنها فروض توجهنا نحو إجراء تجارب معينة وملاحظات تجريبية . فالبراجماتية اتجاه لا يقتصر فقط على مجال العلوم الطبيعية بل يمتد ليشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ والسياسة والاقتصاد والاجتماع ، كما أنه جعل منها أداة منطقية في تحديد المعاني ، وصدق في الأفكار لا يرتبط بالرغبة أو النفور أو اللذة والألم وإنما يرتبط بالتفكير العلمي » (مرسي ، ١٩٨٨ م ، ص ١٠٠) .

تعريف الفلسفة البراجماتية كما عرفها أصحابها:

من أهم الفلاسفة الذين وضعوا مبادئ الفلسفة البراجماتية وأسهموا فيها (تشارلز بيرس) و (وليم جيمس) و (جون ديوي) كما سبق وكان محور اهتمامهم بالنتائج لا المبادئ وبالغايات لا المقدمات ، وبالعمل لا المثل ، غير أنه رغم هذه الأسس المشتركة في الفلسفة البراجماتية إلا أنه لكل منهم ما يميز فكره عن الآخر . والباحث هنا يلقي الضوء على التعريف المشترك للفلسفة البراجماتية عند هؤلاء الفلاسفة .

لقد عرف (تشارلز بيرس) كلمة براجماتية *Pragmatism* من خلال دراسته للفيلسوف الألماني (كانت *Kant*) ففي كتاب (ميتافيزيقا الأخلاق) ميز كانت بين ما هو براجماتي وما هو عملي فالعملي ينطبق على القوانين الأخلاقية التي يعتبرها أولية (قبلية) بينما البراجماتي ينطبق على قواعد الفن وأسلوب التناول اللذين يعتمدان على الخبرة ويطبقان في مجالها .

« إن فلسفة بيرس البراجماتية هي فلسفة ذات نظرية منطقية ، تهتم بمشكلات الحقيقة وتتضمن نظرة معينة في محاولة الوصول إلى معرفتها فإن أساس معنى البراجماتية لدى بيرس يكمن في معنى الحقيقة التي تتكون من مجموعة فروض حيث يعتبر الفرض خاطئاً إن رفضته التجربة وصحيحاً إن لم ترفضه » . (الصراف ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٥٧) .

أما وليم جيمس فإنه يرى أن كلمة براجماتية مشتقة من الكلمة اليونانية *Pragma* وتعني مزاولة أو عملي .

إن طابع (النفع) هو الطابع الغالب الذي ألبسه وليم جيمس للبراجماتية يقول « إن الوفاء والجزاء والأرباح التي تجلبها الأفكار الصحيحة هي العلة الوحيدة لواجبنا في اتباعها واقتفاء أثرها ، فأفكارنا ومعتقداتنا تصرف ما دام لا يتحداها شيء مثلما تصرف أوراق النقد طالما لا يرفضها أحد ، والأفكار الصحيحة التي يتسنى لنا تأييدها هي التي نقيم عليها الدليل بينما الأفكار الباطلة على العكس من ذلك هي التي لا يتسنى لنا تحقيقها » (جيمس ، ١٩٦٥ م ، ص ٢٤٥) .

أما (جون ديوي) فإن نظريته إلى الفلسفة البراجماتية نظرة توسع لا تقيد فهي أداة للبناء والنقد الاجتماعي ففي كتابة (بناء جديد في الفلسفة) يرى أن عمل فلسفة المستقبل هو بناء المجتمع بناءً يطابق ظروف أفراده من النواحي الاجتماعية والثقافية وبذلك يمكن أن توصف البراجماتية عنده بأنها فلسفة واقعية تجريبية لا تستند إلى تفكير ميتافيزيقي بل إلى تفكير علمي وتهدف إلى بناء وتغيير المجتمع ويحاول ديوي أن يطبق منهجة على الحياة اليومية لأن هدف الفلسفة البراجماتية كما يراها هو حل المشكلات الاجتماعية ولذلك يعتقد أنه إذا وجد الإنسان في مجتمع ذي تقاليد اجتماعية ضارة تحتم عليه ضرورة التغيير . (الصراف ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٦١-٢٦٢) .

الوضع الفلسفي للنظرية البراجماتية :

من المعروف أن هناك نوعين من الفلسفات أحدهما مثالي والآخر مادي ، أما الفلاسفة المثاليون فيقولون إن الفكر سابق للمادة وأنه لولا الوعي لما كان هناك عالم خارجي وأما الماديون فيقولون إن المادة سابقة للفكر وأن العالم الخارجي موجود وجوداً مستقلاً عن الوعي سواء أكان هناك إدراك له أم لم يكن .

والمثاليون يرون العقل مصدر المعرفة دون الحواس . في حين يرى الماديون أن الحواس هي الوسيلة لإدراك العالم الخارجي وأن التجربة وسيلة معرفتنا للأشياء من حولنا . (مبروك ، ١٩٨٩ م ، ص ٦١) .

وهذا تقسيم إجمالي للفلسفات فهناك أكثر من مثالية وأكثر من مادية وتنفرد كل منها بخصوصيات تميزها عن الفلسفات الأخرى فمثلاً . الماركسية والبراجماتية تنتميان إلى الفلسفات المادية إلا أن بينهما اختلافاً يكاد يصل إلى التناقض ، ففي حين تحصر الماركسية التغير في النظام الاقتصادي في المجتمع تنظر البراجماتية إلى هذا التغير على أنه شامل لجميع الأنظمة في المجتمع ما دامت نقطة بدايته العالم المادي .

ورغم هذا الاختلاف البين بين الفلسفتين إلا أنهما تلتقيان عند رفض المبادئ الميتافيزيقية . أما ما يجمع الفلسفات المادية عموماً ويشكل بنية الفكر المادي فيتمثل في النقاط التالية :-

- ١- القول برفض الثنائية في الكون .
- ٢- إرجاع كل شيء إلى المادة .
- ٣- جعل العالم الخارجي مصدراً لمعارفنا وسابقاً في الوجود على ذاتنا .
- ٤- إيجاد علاقة بين تفكير الإنسان ووعيه وقيمه الأخلاقية والجمالية من جهة وبيئته الطبيعية والاجتماعية من جهة أخرى .

والفلسفة البراجماتية هي إحدى الفلسفات المادية التي نشأت وترعرعت في المجتمع الأمريكي وأثرت في الثقافة الأمريكية المعاصرة بشكل خاص وفي المجتمعات الإنسانية الأخرى بدرجات متفاوتة .

وتتميز الفلسفة البراجماتية باستنادها إلى التفكير العلمي ، إنها تنظر إلى حقيقة الفكرة من خلال نتائجها العملية والنفعية لا إلى الحقيقة بذاتها . وهذا يعني أن الحقيقة من وجهة نظرها متغيرة بتغير الظروف عكس الحقيقة الميتافيزيقية التي تتصف بالثبات . (الصراف ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٥٥) .

المبادئ الأساسية للنظرية البراجماتية :

للفلسفة البراجماتية معالمها البارزة التي تحدد هويتها وتميزها عن غيرها من الفلسفات التربوية وسيبين الباحث أثناء الحديث عن هذا الجانب أهم المبادئ الأساسية للفلسفة البراجماتية .

أولاً : مبدأ التغيير :

تؤمن الفلسفة البراجماتية بأنه في حدود العالم الذي نعيش فيه يستحيل على الإنسان أن يصل إلى حقيقة ثابتة وأنه يمكن للتجربة والبحث العلمي أن يوصلنا إلى ما هو أفضل . وترى البراجماتية أن التغيير جوهر الواقع وأنه يجب علينا أن نكون مستعدين لتغيير الطريقة التي بها نصنع الأشياء وأن تكون غايات التربية ووسائلها مرنة وقابلة للتغيير .

« فالتربية غاية من حيث أنها ترمي إلى الارتقاء بالإنسان ووسيلة من حيث إنها أسلوب للعمل على ذلك الارتقاء وفي نطاق التربية ينبغي ألا يكون الانضباط مضاداً لاهتمامات التلميذ الملموسة بل ينبغي أن ينمو أو يترتب عليها » (نيلر، ١٩٧١م، ص ١٨) .

ثانياً : إن طبيعة الإنسان في جوهرها اجتماعية وبيولوجية :

فالفيلسوف البراجماتي يؤمن بأن الواقع هو نتيجة التفاعل بين الشخص وبيئته وعليه فالطفل لابد أن يدرس العالم على نحو ما يؤثر فيه ، فكما أن الطفل لا يمكن اعتباره بمعزل عن بيئته كذلك المدرسة لا يمكن فصلها عن الحياة فالتربية

بذلك هي الحياة وليست إعداداً للحياة .

« والفلسفة البراجماتية تنظر إلى الإنسان كلاً متكاملاً فعقله وجسمه ومشاعره ليست أجزاء منفصلة بل هي خصائص لعضو متكامل وأن كل فرد له خصائصه الفردية وقدراته الخاصة به وأنه له وجوده الخاص ضمن العنصر الإنساني العام وهذه النظرة إلى الإنسان على أنه فرد من نوع تجعل من الفرد شيئاً ثميناً يستحق العناية » . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٧٧) .

ثالثاً : نسبة القيم :

ترى الفلسفة البراجماتية أن القيم في المجتمع ولدى الأفراد أيضاً قيم نسبية تؤثر في أعمالهم وسلوكهم وفي الاحتمالات التي يضعونها لحل المشكلات التي تواجههم ، وهي لا تؤمن بوجود قوانين أخلاقية مطلقة بل يجب أن تبقى خاضعة للتغير، فليست هناك قوانين أخلاقية أو قيمية يفرضها واقع معين ، كما هو الحال في الفلسفة المثالية . فالأحكام التي تصدرها على شيء ما تعتمد على نتيجة هذا الشيء . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٨٠) .

« ويبحث البراجماتيون على اختبار جدوى قيمنا على نحو ما نختبر صدق أفكارنا ، فيجب أن ننظر في مشكلات الأحوال البشرية بنزاهة وبأسلوب علمي ونختبر القيم التي يبدو من الأرجح أنها تحلها ، وينبغي ألا تفرض هذه القيم علينا من سلطة عليا ، بل يتم الاتفاق عليها بعد نقاش مفتوح مستنير قائم على أدلة موضوعية » . (نيلر ، ١٩٧١ م ، ص ٤٤) .

نظرة الفلسفة البراجماتية للكون والحياة:

لعل من أبرز الأفكار البراجماتية المتصلة بطبيعة الكون هو الاعتقاد بأن العالم ليس ثابتاً *Static* ولا نظاماً مغلقاً ولكنه عبارة عن عملية ديناميكية *Dynamic Process* في التغير والتطور المستمر والميزة الأساسية للحياة في نظر الفلسفة البراجماتية هي التغير وأن الحياة على هذه الأرض في تطور وتغير مستمرين لا تكاد أن تكون سوى عملية مستمرة من التكيف التجريبي للظروف المتغيرة والمتجددة . (الشيباني ، ١٩٨٧ م ، ص ٢٣٩) .

« وليس للعالم معنى إلا بمقدار ما يطالع الإنسان فيه من معنى وإن كان للكون نفسه غرض فهذا الغرض محجوب عن الإنسان وما لا يستطيع الإنسان أن يختبره لا يمكن أن يكون واقعياً بالنسبة له » (نيلر ، ١٩٧١ م ، ص ١٨) .

وهذا ما يعتقده أصحاب الفلسفة البراجماتية عن الكون ولا شك أن هذه النظرة تخالف نظرة المسلم نحو الكون فالكون مخلوق لله عز وجل وخلقته إنما كان لهدف وغاية معينة كما قال تعالى : ﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾ (الأحقاف : ٣) .

نظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة والقيم :

من أبرز وأظهر الأفكار المتصلة بنظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة والقيم أن مصدرهما هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة ، وهذا يعني أن المعرفة والقيم عند البراجماتيين هما نتيجة اجتهاد الإنسان في تتابع الخبرات وقدرته على استخلاص نتائج التفاعلات المختلفة في هذه الخبرات . أما العقل عند الفلاسفة البراجماتيين فهو لا يعتبر ميزة موروثة عند الإنسان وليس صفحة بيضاء ، وإنما هو عبارة عن قوة داخل الإنسان تترعرع في سياق الخبرة، أي في سياق التفاعل المستمر بين الإنسان ومواقف الحياة التي يواجهها .

أما الذكاء فهو عبارة عن قدرة الإنسان على استعمال المعاني في المواقف لتوجيه هذه المواقف توجيهاً يصل به إلى الأفضل . وأهم ميزة يتميز بها الذكاء عند البراجماتيين أنه يخضع للتجربة حيث تجرب الأفكار في كل موقف أو مشكلة ليحصل على أحسن وأفضل نتيجة ولذلك كانوا ينادون بتطبيق الطريقة العلمية ويحثون عليها .

وبذلك نكون قد استعرضنا الجانب الفلسفي للنظرية البراجماتية بصورة إجمالية وسوف يبين الباحث أثره في مجال التربية في الفصل القادم إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

النظرية التربوية البراجماتية

- ١ - طبيعة التربية البراجماتية
- ٢ - مادة التربية في الفلسفة البراجماتية
- ٣ - حقيقة التربية لدى الفلاسفة البراجماتيين
- ٤ - الفلسفة البراجماتية وطبيعة الأهداف التربوية
- ٥ - تحديد الأهداف
- ٦ - طبيعة الهدف
- ٧ - الهدف عند الفلسفة البراجماتية متغير وليس ثابت
- ٨ - الأهداف عند الفلسفة البراجماتية نسبية وليست مطلقة
- ٩ - الفلسفة البراجماتية وطبيعة المنهج
- ١٠ - الفلسفة البراجماتية وما يتصل بطريقة التدريس
- ١١ - الفلسفة البراجماتية وما يتصل بالمدرسة والمجتمع
- ١٢ - الفلسفة البراجماتية وما يتصل بتربية الطفل
- ١٣ - الفلسفة البراجماتية وما يتصل بالمعلم ونوعيته

طبيعة التربية البراجماتية :-

إن الفلسفة البراجماتية هي أكثر الفلسفات اهتماماً بالتربية والمؤسسات التربوية، وهي تنظر إلى الإنسان على أنه نتاج تفاعل بيئته الطبيعية مع البيئة الاجتماعية وإن الطفل الصغير عندما يواجه الحياة لا يكون فاضلاً ولا شريراً وإنما ستحدد طبيعته على ضوء ما سيقدم للمجتمع ومؤسساته من خبرات وتجارب، وأن ذلك يعتمد على تأثير الأفراد والمؤسسات الاجتماعية .

وقد نادى الفلسفة البراجماتية بأن يكون الطفل محور العملية التربوية بإعتباره كلاً متكاملًا ، وبذلك أسقطت الفكرة القديمة القائلة إن الطفل وجد للمدرسة وأحلت محلها القول : إن المدرسة وجدت للطفل كما أن المؤسسات هي خادمة للإنسان لا سيدة له والبراجماتية تؤمن بأن التربية هي الحياة وينبغي أن تستمر ما دام الإنسان حياً ولا ينتهي دور التربية بمجرد تخرج الإنسان في مدرسة أو جامعة . وعلى ذلك تكون عملية التعلم عملية مستمرة وليست وظيفة المدرسة هي فقط إعداد الفرد للتكيف مع مجتمعه تكيفاً سليماً . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٨٣) .

مادة التربية في الفلسفة البراجماتية :-

إن الحياة الاجتماعية هي الأساس الذي يركز عليه جميع ما يقدم للطفل من تدريب وصقل لمهارته ومواهبه .

يقول جون ديوي « وإننا ننتهك طبيعة الطفل ونجعل الحصول على أفضل النتائج الأخلاقية عسيراً حين نعرض على الطفل فجأة عدداً من الدراسات الخاصة كالقراءة والكتابة والجغرافية وغير ذلك مما يكون بعيد الصلة بهذه الحياة الاجتماعية » (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٦٥) .

وترى البراجماتية أن النشاط الاجتماعي الخاص بالطفل هو محور الربط بين المواد الدراسية .

ويجب أن تكون كل مادة دراسية يتعلمها الطفل ذات صلة باهتماماته ونشاطه الاجتماعي ولهذا ترى البراجماتية أن الأساس الأول للتربية هو قوى الطفل العاملة .

وأن التربية في نظر الفلسفة البراجماتية « هي تجديد مستمر للخبرة وأن عملية التربية والغاية منها شيء واحد وأن وضع أي غاية خارج التربية باعتبار تلك الغاية هدفها أو مصدرها ينتزع من عملية التربية الكثير من مغزاها ويجعلنا نعتمد على مؤثرات مزيفة وخارجية حين نعامل الطفل » . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٩٨) .

حقيقة التربية لدى الفلاسفة البراجماتيين :-

يقول جون ديوي « إنني أعتقد أن كل تربية تقوم على مشاركة الفرد في الوعي الاجتماعي للجنس البشري وتبدأ هذه المشاركة لا شعورياً منذ الولادة ثم لا تزال تشكل باستمرار قوى الفرد بتغذية شعوره وتكوين عاداته وتهذيب أفكاره وتنبيه مشاعره وانفعالاته » (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٨٩) .

وهذا يعني أن التربية البراجماتية تنطلق من الاهتمام بالفرد وتلح على دوره الاجتماعي من خلال مشاركته تدريجياً في النشاط الاجتماعي ضمن الجماعة التي ينتمي إليها وبذلك يتجرد من الانحصار في دائرته الخاصة ويصبح عنصراً فعالاً في الجماعة .

فنقطة البداية في كل عملية تربوية لدى البراجماتيين حاجات الطفل وقواه الذاتية لذا ينبغي أن تتصل مجهودات المربين بأنشطة الطفل الخاصة ولا تكون التربية مفروضة عليه من الخارج حتى لو أدت إلى بعض النتائج الإيجابية .

وبدلاً من إعداد الطفل للحياة المقبلة التي لا يمكن التنبؤ بما تكون عليه في ظل هذه الظروف الصناعية الحديثة ينبغي أن تترك للطفل قيادة نفسه بنفسه . ومعنى ذلك أن تكون عينه ويده أدوات استعداد لذلك الأمر ويكون عقله قادراً على إدراك الظروف التي سيعمل فيها بكفاءة .

الفلسفة البراجماتية وطبيعة الأهداف التربوية :-

بحكم كون التربية البراجماتية تربية عملية فإنها تهتم بالطريقة قبل اهتمامها بالهدف ، إذا أن أهداف التربية البراجماتية متغيرة ولا يمكن الركون إلى أهداف ثابتة مطلقة .

يقول جون ديوي « إن المحاولة التي ترمي إلى تقرير هدف واحد للتربية إنما هي محاولة عقيمة ونحن نستطيع اصطناع عدة أهداف عامة يتفق بعضها مع بعض إذ هي ليست إلا وجوهاً مستقلة نتوخى منها الإحاطة بالظروف الراهنة وتقدير احتمالاتها » (ديوي ١٩٧٨ م ، ص ١٦٦) .

وأهداف البراجماتية تنطلق جميعها من ميول الأطفال وحاجاتهم واستعداداتهم وهي وجهات نظر تثبت قيمتها من خلال التجارب والعمل والنشاط الذي يقوم به التلاميذ أنفسهم .

إن أي هدف يبقى عارياً عن القيمة ما لم توضع له الأساليب المعينة التي تساعد تقيمه وتصحيحه وتوسيعه .

تحديد الهدف :-

ترى الفلسفة البراجماتية أنه من الخطأ أن نقر بهدف عام واحد للتربية تخضع له سائر الأهداف . والصحيح أن نصطنع عدة أهداف يتفق بعضها مع بعض باعتبارها وجهات نظر مستقبلية مختلفة تتيح الإحاطة بالظروف الراهنة وتقدير احتمالاتها فالهدف وحده إذا لم يتكامل مع غيره عد هدفاً ضيق المجال وفيما قبل الفلسفة البراجماتية كانت كل فلسفة تحدد لنفسها هدفاً واحداً كالنمو وفق الطبيعة أو التدريب العقلي أو الكفاية الاجتماعية أو كسب الرزق أو الثقافة ولكن البراجماتية جعلت هدفها التربوي متنوع الجوانب متعدد الأبعاد متكاملاً في نفس الوقت فقالت بالنمو المتكامل أي العمل على نمو الطفل ككل فالنمو المتكامل هو الذي يمكن أن يبني شخصيات ذكية منتجة فاضلة مسئولة شخصيات ذات بصير قائم على المعرفة والتفكير شخصيات تستخدم معرفتها وبصيرتها أدوات للتعرف الذكي المبني على الفكر وتلتزم العمل للصالح العام في المدرسة وخارجها . (كلباترك ، ١٩٥٩م ، ص ٣٢٢) .

طبيعة الهدف :-

كثيراً ما يحدث اللبس في استخدام الألفاظ الآتية الغرض الهدف ، النتيجة ، الغاية ، وقد يظن البعض أن هذه الألفاظ كلها صور لفظية بمعنى واحد أو أنها مترادفات والحق أن ثمة فرقاً في المعنى بين لفظي النتيجة والهدف إن كل

ظاهرة من ظواهر النشاط لها نتائجها فلو أن ريحاً هبت على الصحراء فاثارت رمالها بحيث تبدلت مواضع ذرات الرمال عد ذلك نتيجة لا هدفاً ، فليس للنتيجة إكمال لأمر سبقت وإنما كل ما حدث هو مجرد توزيع موضعي جديد لذرات الرمال لا يفضل على التوزيع الأول إذاً فليست هناك قاعدة نقيم عليها اختيارنا لحالة أولى نعتبرها بداية وحالة لاحقة نعتبرها نهاية وتعتبر ما بينهما عملية تحول وتكامل . (ديوي ، د.ت . ، ص ٨٣) .

والفلسفة البراجماتية لا تعني بالأهداف مجرد تتابع الأعمال وتواليها بحيث يكمل لاحقها سابقها وبحيث يمكن وضع بدايات لها فأعمال النحل مثلاً حين يجمع الرحيق ويصنع الشمع ويبني الخلايا مع أنها أعمال متكاملة إلا أنه لا يمكن القول بأنها أهداف أو أن النحل يسعى لهدف معين ، فالأهداف نتائج ولكن النتائج ليست أهدافاً ، إن أبرز ما يميز الهدف من النتيجة هو عنصر العلم والعمد أي العقلي فيه والقصدي ، إن تكوين الأهداف وتنظيم الوسائل لتنفيذها عمل من أعمال الذكاء ولقد عرف أفلاطون ذات مرة الرقيق بأنه الشخص الذي ينفذ أهداف شخص آخر . (ديوي ، ١٩٤٦ م ، ص ١٠٤) .

والقدرة على رسم الأهداف مرادف للحرية ورسم الأهداف يعني ضبط النفس فالأهداف دالة الحرية الموجهة المضبوطة وهي بذلك ليست مفروضة من الخارج بل هي تابعة من الداخل والهدف بهذا المعنى يقوم على دعائم ثلاث :

أولاً : إنه يتضمن الملاحظة الدقيقة للظروف القائمة لمعرفة الوسائل الميسورة لبلوغ

الغاية واكتشاف العقبات حتى يمكن تجنبها .

ثانياً : الربط والتسلسل بين الأعمال مع الاستفادة من الخبرات السابقة لأن هذا

يسهل اختيار الوسائل وتنظيمها .

ثالثاً : الهدف يمكن من اختيار طريق دون آخر من الطرق المحتملة وهذه الدعائم

متصلة ببعضها اتصالاً وثيقاً . بحيث يمكن القول في النهاية بأن العمل

الرامي إلى الهدف والعمل الذكي شيء واحد .

فمعنى تدبرنا نهاية عمل من الأعمال هو أن لدينا أساساً تبنى عليه

ملاحظاتنا وترتيبنا للأشياء . ولما نملكه من الاستعدادات والقيام بهذه الأشياء

معناه أن لنا عقولنا فما العقل إلا فعاليتنا القصدية ذات الهدف . (ديوي ،

١٩٤٦ م ، ص ١٠٧) .

الهدف عند الفلسفة البراجماتية متغير وليس ثابت :

الحديث عن طبيعة الهدف والفرق بينه وبين النتيجة يؤدي إلى الحديث عن

ثبات الهدف أو تغيره والفلسفة البراجماتية تجيب عن هذا السؤال بما تضعه من

معايير للهدف والمعايير التي ارتضتها الفلسفة البراجماتية للأهداف هي :

أولاً : إن الهدف يجب أن ينبع من الظروف الراهنة وأن يكون قائماً على معالجة الموقف الحاضر وتعييب البراجماتية على التربية التقليدية إغفالها لهذا المعيار وذلك عندما تفترض أهدافاً خارجية غريبة عن الواقع المحسوس فمثل هذا شأنه أن يقيد العقل ويحد من نشاط الذكاء .

ثانياً : مرونة الأهداف ، فالأهداف افتراضات خاضعة للتجربة ومعنى هذا أنه لو ظهر ما يحول دون الوصول للهدف فإنه يجب تحويله وتعديله بما يتناسب مع الظروف المتغيرة المتطورة ، فالهدف مجرد مشروع قابل للتنفيذ وليس شيئاً ثابتاً لا يمكن تغييره .

ثالثاً : الهدف يتلاءم مع طاقات الإنسان وقدراته وفعالياته بحيث يطلقها وينشطها ويبعث فيها الحركة والحيوية ، وتعييب البراجماتية على الاتجاه الكلاسيكي عدم أخذه بهذا المعيار وذلك عندما يفرض الأهداف من الخارج فيقمع الطاقات ويكبت الفعاليات الذكية المختلفة . (ديوي ، ١٩٤٦م ، ص ١٠٨-١١٠) .

الأهداف عند الفلسفة البراجماتية نسبية وليست مطلقة :-

بناء على ما تقدم يتقرر أن الأهداف البراجماتية تتصف بالمرونة وهذا يعني أنها متغيرة ونسبية وفقاً لنسبية القيم وهي قريبة ومتألفة مما يحكم الصلة بين الهدف ووسيلته فكل هدف هو وسيلة لهدف آخر .

الفلسفة البراجماتية وطبيعة المنهج :

تعتبر المدرسة في الفلسفة البراجماتية صورة الحياة الجماعية لذا ينبغي أن تهيء للطفل كافة وسائل مشاركته في ميراث الجنس البشري واستخدام قدراته وقواه الخاصة لتحقيق ذلك وتعتبر التربية تجديداً مستمراً للخبرة .

وطالما أن التربية والغاية منها شيء واحد فإن المنهاج البراجماتي يبتعد عن ملء أذهان الطلاب بالحقائق الثابتة المطلقة بل يرمي إلى إعادة البناء والتنظيم للخبرات الجديدة التي تضاف إلى الخبرات السابقة والتي تساعد في الوقت نفسه على توجيه الخبرات اللاحقة للأطفال .

ويضع المنهاج البراجماتي كل مهتم بالمناهج المدرسية وهو منهاج مرن قابل للتغير والنمو ويتيح إعطاء أكبر عدد ممكن من الاحتمالات لحل المشكلات التي تواجه الأفراد في حياتهم وهو يهدف إلى خدمة المجتمع وتطويره عن طريق تقديم المواضيع والخبرات الجديدة وبناء الأفراد القادرين على المساهمة في بناء وتطوير مجتمعاتهم . (عبد الرحمن ١٩٦٧ م ، ص ١٠٨-١٠٩) .

ولأن الفلسفة البراجماتية تنظر للإنسان نظرة تكاملية ولا تعزل فيها الروح عن الجسم أو العقل عن النشاط فإن هدفها هدف متنوع الجوانب وحسن المنهج مخصص لمعالجة هذه الجوانب . فالمنهج البراجماتي يخاطب المتعلم ككل وينظر

إليه على أنه كائن حي يتفاعل تفاعلاً مستمراً مع بيئته فيكسب خبرات متعددة تؤدي إلى تعديل سلوكه وقد كان السائد أن الفرد يولد وعقله صفحة بيضاء وما على المعلم إلا أن يملأ هذا العقل بالمعارف والمعلومات وقد نجم هذا عن سلبية المتعلم وضيق أفق المعلم بما يجعل كل همه أن يزود هذا العقل بالمعرفة . (سرحان وآخرون ، ١٩٦٦ م ، ص ٩٤) .

وترى الفلسفة البراجماتية إنه من الخطأ أن ننهك طبيعة الطفل بالعديد من الدراسات الخاصة بالقراءة والكتابة والجغرافيا مما هو بعيد الصلة عن الحياة الاجتماعية . إن النشاط الاجتماعي عند الفلسفة البراجماتية هو معيار الربط بين المواد الدراسية المختلفة . فالتاريخ مثلاً قيمته التربوية تكمن في أنه يعرض لأوجه الحياة الاجتماعية ونموها لا أن يكون مجرد سرد للأحداث وحديثاً عن شخوص مقبورة فقط . حتى دروس الطبيعة ليس لها من قيمة لو أنها خرجت عن مجال النشاط الإنساني ، لأن الطبيعة في حد ذاتها لا قيمة لها إلا بعد أن يتناولها النشاط الإنساني بالاكشاف والتطوير ، ودرس العلوم يكون تربوياً بقدر ما يبرز العناصر التي تجعل الحياة الاجتماعية جديرة بالاهتمام . يقول (جون ديوي) في هذا الصدد : « من أعظم صعوبات تدريس العلوم في الوقت الحاضر أن المادة تقدم في صورة موضوعية محضة ، أو أنها تعالج على أنها ضرب جديد خاص للتجربة التي يمكن للطفل أن يضيفها لما سبق أن حصله وضبطه » (الأهواني ،

ويقول : « يجب أن يقدم العلم لا على أنه مادة دراسية جديدة بل على أنه موضح للعوامل التي سبق أن تدخلت في الخبرة الماضية وعلى أنه يزودنا بالأدوات التي يمكن بها تنظيم تلك الخبرة بشكل أسهل وأوقع » (الأهواني ، ١٩٦٨ م ، ص ١٦٥) .

وكذا الأمر في تدريس اللغة ، فليست اللغة مجرد أداة منطقية بل هي أداة اجتماعية باعتبارها سبيل التفاهم والمشاركة الوجدانية . إن التتابع في المنهج الدراسي مفقود ، لأن المنهج هو الحياة وللحياة جانبها العلمي كما لها جانبها الفني ولا يحدث التقدم بالنتائج في الدراسات وإنما في نمو اتجاهات جديدة نحو الخبرة واهتمامات جديدة بالخبرة . (الأهواني ، ١٩٦٨ م ، ص ١٦٦) .

فالفلسفة البراجماتية كفلسفة تكاملية في نظرتها للطبيعة الإنسانية ، تؤمن بالتكامل أيضاً في المنهج إذ ليس هناك انفصال بين ما يسمى علوماً طبيعية وأخرى إنسانية فالإنسان موطنه الطبيعة ولكي يحدث تقدم في العلوم الاجتماعية من جغرافيا وتاريخ وسياسة واجتماع واقتصاد فلا بد أن نستخدم الطرق العلمية المتبعة في العلوم الطبيعية فالعلوم الاجتماعية تعبير عن مشاكل المجتمع وقضاياها ، والعلوم الطبيعية هي السبيل إلى حل هذه المشاكل فمثلاً مشكلة الفقر والصحة والمحافظة على الموارد الطبيعية كلها مشكلات اجتماعية نعالجها بين العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية . « فلا ينبغي أن نجعل العلم وهو دراسة الطبيعة

بمعزل عن الأدب وهو سجل رغبات الإنسان، بل ينبغي أن نجعل العلوم الطبيعية ومختلف الدروس الإنسانية كالتاريخ والأدب والاقتصاد والسياسة يلقي بعضها بعضاً. وهذه المسألة أيسر في نظر التربية من محاولة تدريس العلوم على أنها مجموعات فنية من المعلومات، وأساليب فنية لعمل الأشياء وتناولها باليدين، ومن محاولة تعليم الدروس الإنسانية على أنها موضوعات مستقلة من الناحية الأخرى ذلك لأن هذا الأسلوب الأخير يحدث صدعاً غير طبيعي في خبرة التلاميذ» (ديوي، ١٩٤٦م، ص ٢٩٧).

وتعيب الفلسفة البراجماتية على المنهج التقليدي تصنيفه للمادة العلمية وتنظيمه لها بشكل يفتت خبرات التلميذ كما هو ماثل في الكتاب المدرسي .

وترى الفلسفة البراجماتية أن الكتاب المدرسي قد تغيرت وظيفته فلم يعد إلا مجرد مرشد للتلميذ يوفر عليه الوقت والجهد ولم يعد الكتاب والمعلم هما وحدهما اللذان يقومان بعملية التربية بل أصبحت العين واليد والأذن والجسم كلها مصادر يستقي منها الطفل المعلومات . لقد أصبح المعلم والكتاب بداية ونهاية: بداية تفتح الطريق للمعرفة ونهاية يختبر فيها ما حصله التلميذ من معرفة ولا يمكن لهما أن يحلا محل الخبرة الشخصية . (ديوي ١٩٦٢م، ص ١٢٤).

وأهمية هذه النظرية المتكاملة للمنهج في الفلسفة البراجماتية تبدو في مضمونها الديمقراطي فإذا كان المنهج التقليدي قد قام على أساس من النظرة

الطبقية للتركيب الاجتماعي فأعلى من شأن الدراسات النظرية وحقّر شأن الدراسات العلمية ، فإن المنهج البراجماتي قد دعا إلى غير ذلك إنه يستلهم وجوده من الروح الديمقراطية ومن ثم أعلى من شأن التعليم المهني وحث عليه ورأى أن احتقار العمل اليدوي يمثل فكرة خطيرة تهدد حياة الديمقراطية إذ هي تسمح بالتفاوت في الثروة والتالي في التفاوت الطبقي ، إن التفرقة بين التعليم الأكاديمي النظري والتعليم الحرفي تفرقة خاطئة فالتعليم الأكاديمي ينتج مواطنين لا يميلون إلى عمل تمارسه الأيدي ولا يستجيبون له أية استجابة وجدانية كذا أيضاً فإن التعليم المهني ينتج عمالاً لهم مهارات مباشرة لكنهم يفتقدون العلوم والمعارف التي تمكنهم من الوقوف على دلائل أعمالهم الاجتماعية .

« إن الديمقراطية التي تستهدف تحقيق تكافؤ الفرص كمثل أعلى لها تتطلب نوعاً من التعليم والتربية تكون فيه عملية التعليم وتطبيقاتها الاجتماعية وتكون فيه الأفكار والآراء وممارستها العملية ، يكون فيه العمل وإدراك مفاهيم ما يتم منه ونتائجه كلها أموراً تمتزج وتحدد منذ سن التعليم ولجميع المتعلمين » .
(ديوي ، ١٩٦٢ م ، ص ١٢٤) .

الفلسفة البراجماتية وما يتصل بطريقة التدريس :

الأهداف التربوية تصاغ أساساً في ضوء الفلسفة التي يدين بها المجتمع .
بيد أن هذه الأهداف تظل مجرد قول ما لم تفسر واقعياً وترجم إلى خطة وطرائق تنفيذ وأساليب سلوك . والمنهج هو الخطة أو التفسير العملي للهدف بينما الطريقة هي الأداة الفعالة في تنفيذ هذه الخطة . وبقدر ما تتعدد الفلسفات وتباين بقدر ما تختلف الطرق وتباين . فلكل فلسفة هدفها الخاص ومنهجها الخاص وطريقتها الخاصة بها . فالفلسفة التربوية بحاجة إلى تنفيذ والطريقة بحاجة إلى فلسفة توجهها وترشدتها . وقد حظيت الطريقة بدراسات تهدف إلى بيان الخطوات السليمة التي يمكن أن تقوم في ضوءها الطريقة بأداء وظيفتها أداءً سليماً وأي الطرق أكثر فعالية ونجاحاً في العملية التعليمية . قد ساهمت الدراسات السيكلوجية بقسط غير قليل في هذا المجال وظهرت نظريات التعلم كضوء ينير السبيل أمام الأخذ بالطريق الأمثل والتي تتناسب مع المرحلة الزمنية التي يمر بها المتعلم . فظهرت نظرية هربارت ، ولوك وغيرهما ممن حاولوا أن يؤصلوا الطريقة ويقننوها والمعلم اليوم يجد نفسه إزاء عديد من الطرق (المشروع ، وطريقة الحوار والمناقشة ، وطريقة الوحدات ، وطريقة التمثيل ، وطريقة القص) إلى غير ذلك من الطرق . وإذا كان هناك من معايير يمكن في ضوءها الحكم على أي الطرق أفضل فهذه المعايير تتمثل في مدى توفير الطريقة الفرص للتلميذ كي يمارس فيها

المبادئ الديمقراطية ومدى ارتكازها على الأسس السيكولوجية السليمة وفي مدى اعتمادها على أساليب التقييم السليمة . (سرحان وآخرون ، ١٩٥٦ م ، ص ١٨) .

والطريقة في الفلسفة البراجماتية تعتمد أساساً على مبادئها فهي تقوم على الخبرة والتفاعل كما تقوم على التغيير والنمو وتقوم أيضاً على التفكير الذكي السليم . ولأن التربية عملية اجتماعية ، ولأنها تتم نتيجة التفاعل بين الفرد وبيئته ، فهي يجب أن تتناسب مع مراحل النمو التي يمر بها المتعلم ، يقول (جون ديوي) في عقيدته التربوية « إن مسألة الطريقة ترجع في النهاية إلى مسألة ترتيب نمو قوى الطفل واهتمامه » يسبق ذلك الجانب الإيجابي الجانب السلبي في نمو طبيعة الطفل فالتعبير ينشأ قبل الانطباع الواعي والنمو العضلي يسبق النمو الجسمي وإغفال هذا المبدأ يعني الكثير من ضياع الوقت والجهد في عمل المدرسة . (الأهواني ، ١٩٦٨ م ، ص ١٦٨) .

لقد عرفت الطريقة البراجماتية بطريقة النشاط ، فهي الطريقة التي تكفل لعملية التفاعل النجاح كما أنها الضمان الحقيقي لتحقيق النمو والتطور .

والنشاط يعني تحرير طاقات الفرد ، والعمل على استغلالها بشكل مثمر وخلق ، والنشاط لا يعني مجرد الحركة العضلية ، وإنما يعني العمل الذي يتخذ شكل لعب مع الأطفال أو شكل أشغال يدوية بسيطة حتى يمكن استشارة ميول

الطفل وإشباع حاجاته . واللعب أو الأشغال عند الطفل لا يعني التهريج أو مجرد الضوضاء ، وإنما يعنيان الحرية والتعبير عن الدوافع الداخلية التي لا ترتبط بظروف اقتصادية سيئه تميل لتحويل اللعب عند الأغنياء إلى هياج فارغ وتحويل الشغل عند الفقراء إلى عناء مكروه .

العمل من الناحية النفسية هو فعالية تتضمن الإعداد القصدي بالعواقب باعتبارها جزءاً منه . ويصبح العمل عناء قسرياً حين تكون النتائج خارجة عن العمل كأنما هي غاية وكأنما العمل وسيلة لها أما إذا كان العمل مليئاً بروح اللعب فإنه يصبح فناً من الفنون في نوعه . (ديوي ، ١٩٤٦ م ، ص ٢١٥) .

والعمل كطريقة يتدرج وفقاً لمراحل النمو فإذا كان يأخذ شكل اللعب والشغل فهو يتطور ليصير مشروعاً مع نمو الفرد وتنمو قواه العقلية وتنضج خبرته ويصير أهلاً للتعامل مع المواقف المشكلة التي تواجهه في حياته . وإعداد التلميذ لهذه المواجهة يتطلب أن نجعل من العمل مشروعاً أو موقفاً مأخوذاً من الحياة الاجتماعية كي نثري خبراته ونكفل لها الاستقرار .

ولا يظن ظان أن العمل أو مشروع العمل يقوم على المحاولة والخطأ إنما يقوم عند الفلسفة البراجماتية على التفكير السليم العلمي بخطواته المحدودة من شعور بالمشكلة وتحديد لها وفرض للفروض واختيار لهذه الفروض ثم تطبيق لها .

فالعمل كطريقة هو سبيل الحياة الديمقراطية لأنه يربط المتعلم ببيئته ويصوغ منه الكائن الاجتماعي بما يكسبه من خبرات وما يمنحه له من مشاركة اجتماعية كما يكسبه احترام العمل اليدوي ويعلمه كيف يربط بين الرموز ومعانيها وبين التفكير والنشاط وبين التعليم الأكاديمي والتعليم الصناعي . وذلك كله بصورة ذكية تخضع لما تخضع له سائر العلوم التجريبية . وترى البراجماتية أنه من الخطأ العمل في التربية . لأن هذا يعني قتل الديمقراطية والعودة بالتربية إلى أزمان الديكتاتورية وما يصاحبها من تفرقة بين نوعين من التربية : التربية الحرة والتدريب العملي .

إن « مشكلة التربية في المجتمع الديمقراطي هي القضاء على هذه الثنائية وسن منهاج للدراسة من شأنه أن يجعل الفكر مرشداً للحياة العملية الحرة كما يجعل من الراحة جزاء لاحتمال أعباء الخدمة ، وتبعاتها بدل أن يجعلها حالة يعفى فيها الفرد من خدمه » (ديوي ، ١٩٤٦ م ، ص ٢٧٢) .

البراجماتية وما يتصل بالمدرسة والمجتمع :

المدرسة مؤسسة تربوية تنقل التراث الحضاري للأجيال الناشئة ، وتسهم في تقدم ورقي الأمم ، وهي أداة لاصلاح المجتمع وتطوره في الدول النامية ورسالتها امتداد لرسالة المسجد في المجتمع الإسلامي . على أن عمل المدرسة لا يقتصر على تزويد المتعلمين بالخبرات التي تساعد على الاستمرار في الحياة والمجتمع ، ولكنها بيئة من نوع خاص يمارس فيها المتعلمون خبراتهم للابتكار والكشف بالاستعانة بذكائهم وقدراتهم الشخصية للانتقال إلى خبرات جديدة تختلف عن خبرات ومفاهيم الطفل .

فالفلسفة البراجماتية ترى ضرورة وأهمية الاستمرار بين المدرسة والمجتمع والبيت فهذا (جون ديوي) يقول : « فلو كانت المدرسة مجرد منطقة انتقال من الألفة الأسرية المنزلية إلى حياة المجتمع فهي إذن عملية من السهل إعدادها وتنظيمها يتم بصورة جلية في المجتمعات البدائية حيث تقام حفلة ينتقل فيها الفرد من الطفولة إلى البلوغ والرشد ، وبذلك يتحمل مسئوليات معينة غير أنه في مجتمعاتنا الحديثة يطلب من الصغار التعرض إلى الخبرات والتجارب التي تصقل مواهبهم وتسير بهم قدماً للكشف عن الغوامض وتكسبهم قوى جديدة ، هذه هي مادة التربية كما يجب أن تكون . مثال من التربية الصينية التقليدية حيث ترى صورة الشخص الجميل هي المعيار للفرد الذي يستطيع المزج بين المعرفة والعالم والعمل وصهرها كطريقة للحياة » . (أحمد ، ١٩٧٥ م ، ص ٤٨٦) .

المدرسة والمجتمع :

المدرسة هي مؤسسة اجتماعية ، كما أن التربية أساساً عملية اجتماعية فالمدرسة تهئ الطفل للمشاركة في الحياة واستخدام قواه الخاصة الأهداف والغايات الاجتماعية ، لذا فالتربية عملية من عمليات الحياة وليست إعداداً للحياة المستقبل فقط . فالمدرسة يجب أن تكون مطابقة لحياة الطفل في البيت والمجتمع المحيط به ، المدرسة يجب أن تبسط الحياة الاجتماعية حتى يتمكن الطفل من الاتصال بالحياة دون الارتباك والتشتت مما يجعل استجابته غير منظمة . المدرسة يجب أن تنمو تدريجياً من حياة المنزل فتتعهد أنواع النشاط الأسري وتدفعها إلى الأمام فتتخذ المدرسة من الخبرات الماضية للطفل أساساً وتبني عليها الأفكار الجديدة على أساس سليم ، فالبيت هو صورة الحياة الاجتماعية التي يكتسب فيها الطفل العادات الخلقية وعلى المدرسة تبسيط وتعميق شعوره بالقيم المرتبطة بحياته المنزلية .

يذكر (جون ديوي) أن التقدم الذي يصل إليه الطفل في نموه الجسدي وتقدمه في القدرة على القراءة والكتابة والحساب ومعلوماته في الجغرافيا والتاريخ وتحسن طبعه في التهيؤ والاستعداد في النظام والمواظبة هي المعايير التي نقيس بها عمل المدرسة . (ديوي ، ١٩٧٨ م ، ص ٣١) .

غير أن ما نريده (نموذج) آخر لمدارسنا ، فالأطفال هم القوة الفعالة في

المستقبل والمجتمع يأمل تحقيق الأمثل من خلال الإمكانيات الجديدة التي تفتح في المستقبل حيث تتحد الجهود الفردية والاجتماعية . ولا يمكن للمجتمع أن يكون صادقاً مع نفسه إلا إذا كان صادقاً في تيسيره النمو التام لجميع أفراد المجتمع .

وليس في هذا التوجيه الذاتي شيء مهم كالمدرسة فهي كما يقول هوراس مان *Horace Mann* « حينما ينمو شيء ما فإن مؤسساً أو منشئاً واحداً يعادل ألف مصلح أو مجدد » . (ديوي ، ١٩٧٨ م ، ص ٣١) .

وعندما نريد بحث حركة جديدة في التربية يجب التعرف على مختلف وجهات النظر الاجتماعية . وإلا فإن التغيرات التي تحدث في المؤسسات المدرسية وفي التقاليد تظهر على أنها تغييرات تعسفية يقوم بها المعلمون على أسوأ الآراء أما أحسنها فتذكر أنها مجرد تحسينات في تفاصيل خاصة .

إن التغيرات التي تحدث في المدرسة وعن طريق التربية ومناهجها نتاج الحالة الاجتماعية المتغيرة إنما هي لخدمة المجتمع مثل التغيرات الصناعية والتجارية .

إن عمل المدرسة يستمر بتسهيل تعلم الدروس والتعاون بل قد يصبح جهداً خفياً لا راحة فيه من حيث واجبه الشرعي (الواجبات المدرسية) غير أنه عندما يبدأ العمل يفاجأ بأن روح الاتصال الحر وتبادل الآراء والاختراعات نتاج خبراته السابقة تفتقر إلى إعادة المعلومات ، فإذا أدخلنا المناقشة من حيث المقارنة

بين الأطفال أو الأفراد ليس بالنظر إلى كمية المعلومات التي استوعبوها بل بالنظر إلى نوعية العمل المقدم . لأنها معيار القيمة الصحيح في المجتمع على نحو أشمل ودائم ، إذن فعلى الحياة المدرسية أن تنظم نفسها في قاعدة اجتماعية فإذا كانت الغاية تنمية روح التعاون الاجتماعي وحياة المجتمع ، فيجب أن يكون الضبط نامياً مع هذا الهدف وعائداً إليه .

المدرسة وأثرها في حياة الطفل :

الطفل بطبيعته فعال والتربية تمده بالتوجيه وتنظيم فعالياته نحو النتائج القيمة حتى لا تكون مبعثرة وتعد تعبيراً طائشاً .

وكثيراً ما يتساءل الناس . إذا كانت تبدأ بأفكار الطفل ودوافعه . وكلها غير ناضجة وارتجالية ضئيلة في روحها وتبلورها . فكيف يمكنه أن يحصل على النظام والثقافة والمعلومات الضرورية ؟ إذا كان لدينا تنظيم للموارد والتجهيزات نستطيع توجيه فعاليات الطفل ومنهج التدريب المطلوب حتى تصل إلى الهدف . وبما أن إشباع الدافع يعني تنفيذه وتنفيذه يشمل التغلب على العقبات والتعرف على المواد يعني أن تبدي مهارة وخبرة ومواظبة وانتباهاً وهذا يتضمن الضبط وتنظيم القوى وإكتساب للمعرفة . فالأطفال يرغبون غالباً في صناعة أشياء ومراقبة النتائج ، ويمكن الاستفادة من ذلك بتوجيههم إلى طرائق ذات نتائج قيمة ، خاصة وأن الدافع الفني عند الأطفال مرتبط بالغريزة الاجتماعية التي تعني

الرغبة في التحدي والتمثيل ، وبالشغف بالاكشاف وحب الاستطلاع ، إن توجيه طاقات الأطفال ورغباتهم وسيلة لتقدمهم . ومن الملاحظ أن هناك فرقاً بين أن يكون للطفل شيء يتحدث عنه وبين أن يحفظ معلومات لإعادتها ، فالطفل أو التلميذ الذي لديه أنواع عديدة من المواد والحقائق يريد أن يتكلم عنها . تصبح لغته قوية لأن الوقائع تدمه بالمعلومات . ومن الأفضل والممكن تدريس القراءة والكتابة على هذا الأساس وبصورة ارتباطية إن توجه المعلومات والمعارف نحو رغبة التلميذ الاجتماعية في أن يحصي خبراته ويكتسب خبرات من حوله . إن قضية المدرسة وعلاقتها بحياة الطفل في أساسها كما يلي :

١- إذا ركزنا عنايتنا بحياة الطفل فإن المهن والعلم وما يتصل بها تصبح أدوات جذابة ومواد ثقافية لخيالة .

٢- إن خلف النتائج المتطورة تعديل الاتجاه الفكري والأساسي بالقوة النامية والقدرة على بعد النظر عندما يمكن للطبيعة والمجتمع أن يعيشا في غرفة الدراسة ، تهئ بذلك فرص التعرف وتصبح الثقافة الطريق إلى الديمقراطية . (ديوي ، ١٩٧٨ م ، ص ص ٦٩ - ٧٣) .

الفلسفة البراجماتية وما يتصل بتربية الطفل :

الفلسفة البراجماتية تجعل الطفل ونشاطه محور عملية التربية وهي ترى أن التربية الصحيحة هي التي تستخدم مطالب الظروف الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل في إثارة ميوله واستعداداته . والطفل في التربية البراجماتية هو محور البداية وهو المركز والغاية في عملية التربية ، وفي ذلك يقول (جون ديوي) :
« وترمي التربية الحديثة إلى نقل محور التربية من البالغ إلى الطفل ، فالطفل هو مركز الجاذبية ، وهو كالشمس التي تدور حولها سائر الأفلاك الأخرى » .
(عبد العزيز ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٧) .

والتربية البراجماتية وهي تربية نفسية اجتماعية تراعي طبيعة الطفل كما تراعي طبيعة المجتمع . ولكنها تجعل الناحية النفسية أساساً للناحية الاجتماعية فحاجات الطفل وقواه هي التي تعطي المادة الضرورية للتربية ، وهي أيضاً نقطة الابتداء في عملية التربية ، والبراجماتية التي تسعى إلى تحرير عقل الطفل وتعتمد على استعداداته الفطرية وتهتم بإثارة ميوله وقدراته ، لا تهدف إلى ترك الأطفال لأهوائهم وأمزجتهم من غير ضابط أو رقيب ، ولكنها تسعى إلى إعطائهم من الحرية ما يكفي لتخليصهم من الكبت ، والسماح لهم بالنمو نمواً طبيعياً بحيث تنمو ميولهم واستعداداتهم نمواً طبيعياً سليماً بعيداً عن كل تدخل قد يؤدي إلى كبتها، وفي ذلك يقول (جون ديوي) : « إننا لا نقصد ترك الطفل لأهوائه

ومزاحه من غير ضابط وإنما نريد أن نسمح له بالقدر اللازم من الحرية الذي يخلصه من الكبت ، والذي هو ضروري لنمو الذكاء نمواً حراً كاملاً » . (ديوي ، د . ت . ، ص ٨١) .

والفلسفة البراجماتية لا تقبل بالفكرة المثالية التي تفرض على الطفل نوعاً من المعلومات التي يريد الكبار ولكنها تترك ذلك للطفل . ووظيفة المعلم هي أن يوجه اهتمامات الأطفال دون أدنى تدخل منه . فالمناهج الدراسية إنما تقوم على نشاطات الأطفال وخبراتهم وجهود المربين والمدرسين يجب أن ترتبط بناحية من نواحي نشاط الطفل التي يقوم بها بنفسه مستقلاً عن مربيه ، وكل تدخل قبل ذلك من المعلم إنما يجعل من التربية عملية فرض خارجية وفي ذلك يقول (جون ديوي) : « إن أهم وظيفة طبيعية للطفل هي أن يعمل وأن ينشط النشاط الطبيعي ، وأن يجري التجارب ويرى نتائجها بنفسه » . (ديوي ، د . ت ، ص ٨٥) وهكذا تقتصر وظيفة المدرس أو المربي على اختيار المؤثرات والظروف الصالحة التي تعين الطفل على إظهار ميوله واستعداداته واهتماماته وأن يساعده على تلبية هذه المؤثرات والتفاعل معها .

والتربية البراجماتية التي تؤمن بطبيعة الطفل وترمي إلى إطلاق مواهبه واستعداداته لا تصنع للطفل أهدافاً خاصة تفرضها عليه ، وإنما تتركه يختار ما يتلاءم مع رغباته الخاصة وقدراته الشخصية ، وهي لذلك لا تعير اهتماماً كبيراً

بالمواد الدراسية والكتب المدرسية كما تفعل الفلسفة المثالية ، ولا تطلب من الطفل أن يحفظ إلا ما يتلاءم مع رغباته وما ينسجم مع اهتماماته ، ولما كانت البراجماتية لا تضع أهدافاً محددة سوى تمكين الطفل من النمو نمواً طبيعياً و اجتماعياً، فهي لذلك لا تؤمن بالقسر والإجبار، وتنكر العقاب المدرسي أشد الإنكار. والتربية البراجماتية التي تؤمن بأن الجهد الذي يبذله الطفل يجب أن ينبع من اهتماماته الخاصة، وتؤمن بجعل النشاط المدرسي مبنياً على نمو الأطفال وتطورهم، وتنكر كل محاولة للتدخل أو الإجبار في عملية التعلم، تجعل من المدرسة صورة صادقة ومبسطة عن المجتمع يعيش فيها الأطفال حياة اجتماعية سليمة فيتعلمون عن طريق هذه الحياة الاجتماعية . فالتربية في نظر البراجماتية كما سبق أن ذكرنا هي الحياة ذاتها ، ويلخص (جون ديوي) فكرته في التربية فيقول : « في التربية تلتقي أقوى دوافع النشاط الإنساني الثلاثة وهي دافع العطف وإحاطة الطفل بالحب الصحيح ، والدافع الاجتماعي والدافع العملي والعقلي ، وفي تعاون هذه الدوافع الثلاثة قوة بشرية عظيمة لا يمكن التغلب عليها متى اتحدت » . (ديوي ، د. ت ، ص ٨٦) .

الفلسفة البراجماتية وما يتصل بالمعلم ونوعيته :

مهمة المعلم البراجماتي تختلف اختلافاً جوهرياً عنها في النظم الأخرى إذ ليست مهمته مجرد التدريس لأفراد ، بل تكوين الحياة الاجتماعية الصحيحة . وليس من شأنه أن يفرض آراء معينة على الطفل أو تكوين عادات معينة عنده لكن مهمته أن يختار الخبرات التي سوف تقدم للطفل ليتفاعل معها ، وليساعده في اتباع أسلم الطرق لمواجهة المشكلات وحلها . ومن صفاته العطف والقدرة على تفسير الأشياء تفسيراً جيداً . وأن يكون ملماً بمادته مهتماً بمن يدرسهم لأن التدريس عملية مشاركة وتفاعل بين الطرفين . وهو مثال الرجل المفكر لذاته القادر على التعرف على ميول الطلاب وقدراتهم وتوجيهها الوجهة الصحيحة . (عبد الرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ص ١١٢ ، ٢١٣) .

الفصل الرابع

وجهة نظر التربية الإسلامية

حول النظرية البراجماتية

تمهيد

إيجابيات الفلسفة البراجماتية

المأخذ والسلبيات على الفلسفة البراجماتية

نقد الفلسفة البراجماتية من وجهة نظر التربية الإسلامية

أ- الجانب الفلسفي

١- ما يتصل بنظرتها للكون والحياة.

٢- ما يتصل بنظرتها للإنسان

٣- ما يتصل بنظرتها للمعرفة والقيم

ب- الجانب التربوي :

١- ما يتصل بمادة التربية

٢- ما يتصل بطبيعة الأهداف

٣- ما يتصل بالمنهج

٤- ما يتصل بطريقة التدريس

٥- ما يتصل بتربية الطفل

٦- ما يتصل بالمعلم ونوعيته

تمهيد :

لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل نظاماً فيه من السعة والشمول والإحاطة بجميع جوانب النفس البشرية وما يصلحها ويؤدي بها إلى الحياة الفاضلة مثل النظام التربوي الإسلامي . إنه نظام يتناول الكائن البشري منذ منشئه وحتى مماته بل تمتد عنايته به إلى ما بعد موته أيضاً .

وإذا كانت التربية الحديثة دعت إلى إعداد المواطن الصالح فإن التربية الإسلامية رمت إلى ما هو أبعد من ذلك وأشمل فهي لم تقتصر على هذا الهدف في حدوده الضيقة بل شملت عنايتها إعداد الإنسان المسلم الصالح في دنياه وآخرته وإذا كانت الدنيا هدف التربية اليونانية والرومانية وكانت الآخرة والاستعداد لها غاية التربية المسيحية فإن التربية الإسلامية تربية متوازنة تجمع بين الاثنين معاً قال تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص : ٧٧) . وقال ﷺ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .^(١)

ومن ثم فإن التربية الإسلامية لا تغالي في الروحانية على حساب الجانب المادي ولا تغالي في التركيز على الفرد على حساب المجتمع . ولا تبالغ في التركيز

(١) أثر عن عمر بن العاص ، لا أصل له مرفوعاً . السلسلة الضعيفة ، الألباني .

على الآخرة على حساب الدنيا بل وازنت بينهما واستهدفت إعداد الإنسان للدارين معاً : الدنيا والآخرة فقد ورد ذكر كلمة " الدنيا والآخرة " في القرآن الكريم مرات متساوية بلغت (١١٥) مرة لكل منهما . (مرسى ، ١٩٨٢ م ، ص ٢٠٥) .

وإذا كانت التربية البراجماتية قد اعتبرت الفرد مسئولاً عن جماعته وعنصراً فعالاً فيها فإن التربية الإسلامية شملت هذا المعنى وأضافت إليه عنصر حبّ التضحية والإيثار وتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة إذا تعارضتا .

ومن ثم فالتربية الإسلامية تربي الفرد على الفضيلة والتحلي بحب الخير للجماعة والاستعداد الدائم ليكون عاملاً نشيطاً في سبيل الصالح العام حتى غدا المجتمع الإسلامي مترابطاً تسود فيه القيم الأخلاقية الفاضلة ولا يشعر الضعيف بحرج إزاء الآخرين الأقوياء ، قال عليه الصلاة والسلام « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » (رواه البخاري ومسلم) .

فمنهج التربية الإسلامية موضوع لإعداد الإنسان المسلم الصالح لدنياه وأخراه فهي تعنى بالتربية المتكاملة من النواحي الدينية والخلقية والجسمية دون طغيان لأي جانب على حساب الجوانب الأخرى .

ولذلك تحرص التربية الإسلامية على تدريس جميع أنواع العلوم والمعارف هدفها في ذلك تعميق الإيمان بالله وترسيخه في نفوس الناشئة باعتباره الأساس الذي يقوم عليه بناء شخصية المسلم المتكاملة وذلك من خلال ربط العلوم الطبيعية وقوانين الكون ونظامه بما جاء في القرآن الكريم والسنة المطهرة .

كما اعتمدت التربية الإسلامية الكائن البشري كله وعالجته معالجة شاملة بما ينطوي عليه من جسم وعقل وروح ، فالإسلام يؤمن بكيانه المادي المحسوس وأنه قبضة من طين : ﴿ إِنِّي خَالِقُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴾ (ص : ٧١) ويعترف بما لهذا الكيان من مطالب مادية ويستجيب لها . وفي الوقت ذاته يؤمن بكيانه الروحي وأنه نفخ من روح الله : ﴿ فَإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (ص : ٧٢) .

وطريق الإسلام في تربية الروح هي أن يعقد صلة دائمة بينها وبين الله في كل لحظة وكل فكرة . ومن خلال الإيمان تتطهر النفس ، ويستقيم الخلق ، وينعكس كل هذا على سلوك الفرد ومواقفه وأسلوب حياته ، وبالتالي فإن المنهج الإسلامي منهج عبادة ومنهج فكر ومنهج عمل . (الجيار ، ١٩٧٨ م ، ص ٨٥) .

ومن ثم فعندما نتأمل في طبيعة التربية الإسلامية نجد أن الدعوة للإيمان مقرونة بالدعوة إلى العلم ، والدعوة إلى العبادة مقرونة بالدعوة إلى العمل ،

والدعوة إلى الفكر والتأمل مقرونة بالدعوة إلى تنمية الروح والوجدان ، والدعوة إلى الغاية مقرونة بالنظر إلى الوسيلة . (سليمان ، ١٩٧٧م ، ص ١٣٤) .

بالإضافة إلى ما تقدم تستهدف التربية الإسلامية الناس جميعاً تستهدف تهذيب أخلاقهم وتقويم سلوكهم ، وتستهدف تنمية جوانبهم الفكرية والنفسية، وتستهدف الرقي بالحياة الاجتماعية بكل أبعادها ومشكلاتها .

وفوق كل ذلك تستهدف بناء حضارة مفتوحة الحدود ، شاملة لكل ما في الحياة من مجالات التقدم والرقي في أسسها الفكرية والنفسية والمادية :

أ- فهي حضارة لا تحدّها حدود ضيقة من الفكر . فالحقيقة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

ب- ولا تحدّها حدود ضيقة من النفس فتحصرها ضمن الدوائر الأنانية العنصرية أو القومية أو الطبقية بل إنّ دعوتها تشمل الإنسان أينما وجد ومهما كانت جنسيته أو لغته .

ج- ولا تحدّها حدود مكانية أو زمانية ، فكل مكان من الأرض هدف لإقامة الحضارة الإسلامية عليه ، وكل زمان من الدهر هدف لإقامة الحضارة الإسلامية فيه . (الميداني ، ١٩٧٠م ، ص ص ١١٤-١١٥) .

وقد أكدت التربية الإسلامية على احترام عقل الإنسان ، وتكررت الإشارة

إليه في القرآن الكريم ، مشتملة على وظائفه ومن أهمها ، الإدراك والفهم والحكمة والتفكير الذي يوازن ويستنتج .

وقد شجعت على تنمية العقل بالسؤال والحوار ، فلكل طالب الحق في أن يسأل أي سؤال لا ستيضاح ما صعب عليه فهمه ، فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال : « العلم خزانة مفتاحها السؤال »^(١) . وحث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الطلاب ألا يهابوا السؤال ويستحيوا منه فقال : « قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان » .

وقال شيخ للمأمون : أقبيح بي أن أستفهم ؟ فقال بل قبيح بك أن تستبهم ، ويرى الزرنوجي أن قضاء ساعة واحدة في المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من قضاء شهر بأكمله في التكرار والحفظ . (خليفة ، ١٩٧٣م ، ص ٢٦١) .

وقللت التربية الإسلامية من شأن الحفظ والترديد فقد ورد في كتاب (كشف الظنون لحاجي خليفة) ما يلي : « اعلم أن من كان عنايته بالحفظ أكثر من عنايته إلى تحصيل الملكة لا يحصل على طائل من ملكة التصرف في العلم لذلك ترى من حصل لا يحسن شيئاً من الفن وتجد ملكته قاصرة في عمله إن فاوض أو ناظر ومن ظن أن المقصود من الملكة العلمية فقد أخطأ وإنما المقصود هو ملكة الاستخراج والاستنباط وسرعة الانتقال من الدوال إلى المدلولات ومن

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣ ، ١٩٢) وهو حديث موضوع .

اللازم إلى الملزوم وبالعكس فإن انضم إليها ملكة الاستحضار فنعم المطلوب وهذا لا يتم بمجرد الحفظ بل الحفظ من أسباب الاستحضار ، وهو راجع إلى جودة القوة الحافظة وضعفها وذلك من أحوال الأمزجة الخلقية وإن كان مما يقبل العلاج» (خليفه ، ١٩٧٣م ، ٢٦١) .

نخلص مما سبق إلى أن سمات التربية الإسلامية المهمة ما يلي :

أولاً : امتزاج العلم بالعقيدة مما يضمن نفعه وتوجيهه للخير .

ثانياً : ارتباط العلم بحاجات البشر ومنافعهم يقول ﷺ : « اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني وزدني علماً ، والحمد لله على كل حال » .^(١)

ثالثاً : الاهتمام المتوازن بالروح والعقل والجسم .

رابعاً : التعرف على الفروق الفردية والاهتمام بها يقول ﷺ : « يا ابن عباس لا تحدث قوماً حديثاً لا تحتمله عقولهم » .

خامساً : الاهتمام بالجوانب العلمية والتطبيقية ، قال ﷺ : « كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به » .

سادساً : الاهتمام بالتعليم في مختلف مراحل عمر الإنسان حيث يقول الرسول ﷺ : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » .

(١) قال ابن حجر في بلوغ المرام كتاب الجامع باب الذكر والدعاء . اسناده حسن ص ٣١٤ وقد صححه الألباني دون قوله والحمد لله على كل حال .

مدخل إلى تقييم الفلسفة البراجماتية من وجهة نظر التربية الإسلامية

إننا نعيش اليوم في عصر يشهد صراعاً محتدماً في شتى فروع المعرفة الإنسانية بين الأمم والشعوب القوية منها والضعيفة ، وتحاول كل أمة أن تطرح فكرها ومعطياتها الحضارية للناس في محاولة منها لإثبات وجودها ومقدرتها على الثبات والتحدي .

وفي هذا الخضم تبرز الفلسفة البراجماتية كإحدى الفلسفات المعاصرة التي اجتذبت إليها اهتمام كثير من الدارسين لما حققته من نجاح في المجتمعات التي نشأت فيها كالمجتمع الأمريكي . ولما كان المسلمون معنيين كغيرهم بهذه الفلسفة نظراً لانتقال آثارها إلى مجتمعاتهم وخاصة في مضمار التربية ، رأى الباحث أن يعرض ما يراه من إيجابيات لهذه الفلسفة كما يعرض أبرز المآخذ والسلبيات التي يراها متعارضة مع وجهة نظر التربية الإسلامية .

أولاً : إيجابيات الفلسفة البراجماتية :

- ١- أولت الفلسفة البراجماتية أهمية قصوى لشخصية الطفل ، باعتباره شخصية مستقلة وفاعلة وذات دور مهم في صنع الحضارة الإنسانية .
- ٢- بينت الفلسفة البراجماتية مدى أهمية الوسط الاجتماعي ودوره في تكوين

سلوك الفرد وهي هنا تتفق مع دين الإسلام حيث أن الرسول ﷺ يقول :
« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ^(١).

٣- اعتنت الفلسفة البراجماتية بالتفاعل المستمر بين الفرد وبيئته .

٤- اهتمت الفلسفة البراجماتية بالخبرة ، فالإنسان يستطيع أن يتوصل إلى
المهارة والحذق عن طريق الخبرة والمران .

٥- أكدت الفلسفة البراجماتية على طريقة المشروع في التدريس والتي تفرض
وجود مشاكل عملية في الحياة تضعها أمام الطفل تتحدى تفكيره ويشعر
في إيجاد أفضل السبل لحلها بطريقة عملية .

٦- اهتمت الفلسفة البراجماتية بالفروق الفردية .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (٤/١٩٧) ومسلم في باب القدر (١/٢٦٥) .

المآخذ والسلبات على الفلسفة البراجماتية من وجهة نظر التربية الإسلامية

إن من أخطر القضايا في الفلسفة البراجماتية نظرتها إلى الفكرة من خلال نتائجها العملية فالنتائج هي برهان صحة الفكرة لديها فإذا كانت الفكرة وسيلة والعمل نتيجة أو غاية فإن الغاية تبرر الوسيلة ولذلك يطلق على هذه الفلسفة النفعية أو الذرائعية أو الوسائلية وتأخذ الفلسفة من ذلك أنه لا ثبات لشيء من القيم والأخلاق في دنيا الناس . ومعيار الحقيقة نجاح الفكرة يقول جون ديوي : (إنني أؤكد على سبيل الجزم أن لفظ البراجماتي لا يعني إلا قاعدة إرجاع كل تفكير وكل الاعتبار التأملية إلى نتائجها للمعنى النهائي والاختبار على محل التجربة) . (واين رالف . ن ، ١٩٦٤م ، ص ٤٥) .

وقد استخلص جمعة الخولي من القول السابق أموراً سلبية ثلاثة على الفلسفة البراجماتية وهي :

أولاً : إن برنامج المذهب البراجماتي يربط الفكرة بنتائجها العملية أكثر مما يربطها بمعيارها القيمي والتفقد العلمي لمضمونها أي أنه يعدل عن الأفكار المجردة والمعاني النظرية ويحصر هذه الأفكار والمعاني في آثارها فالفكرة هي خطة العمل والنشاط وليست حقيقة في ذاتها ومن هنا تزعم الفلسفة البراجماتية أن الفكرة هي مشروع للعمل أو خطة للتأثير في البيئة وهي خطوة في سبيل العمل لها ما بعدها .

ثانياً : إن صواب الفكرة لا يوقف على الضرورات المنطقية لها أو على قيمتها الذاتية ومضمونها الواعي . وإنما يتوقف على صلاحية هذه الفكرة في حياتنا الراهنة ومدى ما تحققه من نفع مادي في تصرفاتنا اليومية في اختباراتها فإذا كانت هذه الفكرة تؤدي إلى نتائج مرضية ومنافع عملية في الحياة فهي صحيحة وصائبة وإلا فلا .

ثالثاً : إنه لما كانت الفكرة تقاس بنتائجها وكانت النتائج محصورة في المنفعة فإن المنفعة الظاهره تصبح وحدها المحكّمة لا في قبول الأشياء أو رفضها فقط بل أيضاً في تصور وجودها أو عدمها .

قد لا تبدو سلبية الفلسفة البراجماتية من خلال تأمل النقطة الأولى وإن كانت تولد نوعاً من السطحية وعدم العمق في الأمور ، إلا أن السلبية والخطورة تكمن عندما نتابع هذه الفلسفة في نتائجها البعيدة فنجد من خلال تأملنا للنقطة الثانية أنها تؤدي في النهاية إلى جحد الألوهية هذا ما صرح به فلاسفة البراجماتية .. لأننا حين نسير على فلسفة هذه النقطة إلى النهاية نجد أن قيمة الفكرة فيما تولده من منافع ظاهرة في الحياة المادية . ولما كانت « الفكرة عن الله » في نظر هؤلاء قد يأتي عليها حين لا تؤدي وظيفة ظاهرة في الحياة المادية فعندئذ تنبذ الفكرة من أساسها لأنها لا تدير آلة ولا تحرك جهازاً ، وبذلك يكون الكفر والضلال .

فإذا نظرنا إلى النقطة الثالثة نجد أن النفع المادي العاجل في الحياة الدنيا هو وحده المسيطر على اتجاه الفلسفة البراجماتية أي أن أية فكرة أو عمل عند البراجماتيين إنما يقاس صلاحه وفساده وخيره وشره بما يحققه من نفع مادي عاجل في الحياة الدنيا . وسيطرة مثل هذه النزعة على سلوك الناس في الحياة يحولهم إلى ذئاب ذوي أظفار وأنياب ولا يتعاملون إلا بالمادة ولا يتواصلون إلا حيث يكون نفع . ويوم تكون المنفعة غاية لكل حركة وهدفاً لكل علاقة فما أشقى الحياة يومئذ لأن تلك مرحلة تفقد فيها البشرية كل مقوماتها الكريمة وعناصرها الإنسانية ويستوي فيها الإنسان بالآلات، وتغيب جميع مبادئ البر والعطف والرحمة والمواساة وسائر الأمور المعنوية التي تهذب الحياة وترطب جفافها، ويخلو كيان الإنسان من العواطف والمشاعر الإنسانية من حب وود وعطف ونحوها . (الخولي، ١٩٨٦م ، ص ص ٦٥ ، ٦٦) .

ويؤخذ على الفلسفة البراجماتية موقفها من الأخلاق فهي تنظر إلى الأخلاق نظرة مادية بحتة فالأخلاق والقواعد التي تضبطها من صنع الناس وحدهم وهي تجريبية متطورة من آن لآخر على مر الزمن ولا ثبات لها ولا يقين على الإطلاق، وهي تتغير كلما تغيرت متطلبات الجماعات ورغائبها والقانون الحق هو ما يعتقده الرأي العام، وبذلك فإن معيار الصواب والصدق بالنسبة للأخلاق وقواعدها هو الرأي العام . ولذلك فهي قابلة للتغيير كلما تغير الرأي العام .

يقول وليم جيمس: «إن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعية في أنه لا يمكن استنباطه كله مرة من مبادئ ذهنية، بل لابد أن يخضع للزمن وأن يكون مستعداً لأن يغير نتائجه من آن لآخر.. والآراء الذائعة حق وأن القانون المعياري الحق هو ما يعتقده الرأي العام». (وليم جيمس، ص ١٠١) .
وبناء عليه يمكن أن ينتشر الفساد وتعم الرذيلة ويعد ذلك من الأخلاق ما دام يعتقده الرأي العام .

ويقول جون ديوي : « كل الأحكام الأخلاقية تجريبية ومن ثم خاضعة للمراجعة . » (واين رالفان ، ١٩٦٤م ، ص ٢٨) .

فما يثبت اليوم قد يتغير غداً وقد يثبت بعد غد .. وهكذا لا يكون هناك أي ثبات لقيمة من القيم ومعروف من بدهيات الإسلام فساد هذه الأفكار فالفضائل ثابتة والأخلاق لا تتغير فالصدق فضيلة في كل زمان والكذب رذيلة في كل آن ومعيار الأخلاق عندنا -نحن المسلمين- هو الشرع وما جاء على لسان النبي ﷺ والإسلام يكره التلون والتغير ويحب الثبات على الفضيلة والمبدأ وإن تغير الناس من حول الإنسان وفي الحديث : « لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن أسوأ أسأنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أحسنوا وإن أسأوا ألا تظلموا » .

ومن المآخذ والسلبيات في المجال التربوي على الفلسفة البراجماتية نسبية الأهداف وهذا المآخذ راجع إلى نسبية القيم والأخلاق .

نقد الفلسفة البراجماتية من وجهة نظر التربية الإسلامية

إذا كانت هناك نقاط التقاء بين التربية البراجماتية والتربية الإسلامية -أشرت إليها من خلال حديثي من إيجابيات التربية البراجماتية- فإن نقاط الخلاف بينهما تزداد اتساعاً وعمقاً إذا بحثنا في نظرة كل منهما إلى الأمور التالية :

- أ- الكون والحياة .
- ب- النظرة إلى الإنسان .
- ج- النظرة إلى المعرفة والقيم .

أما فيما يتعلق بنظرة الفلسفة البراجماتية للكون والحياة

تنظر البراجماتية- كما سبق بيانه في الفصل الثاني- إلى الكون بأنه ليس ثابتاً بل في تغير وتطور مستمرين وأن الميزة الأساسية للحياة في نظرة البراجماتية هي التغير أيضاً وأن الحياة على هذه الأرض في تغير وتطور مستمرين .

وهذه النظرة لا تتفق مع نظرة التربية الإسلامية إلى الحياة والكون بل تناقضها تماماً . إذ أن نظرة الإسلام إلى الكون على أنه مخلوق لله عز وجل وخلقته إنما كان لهدف وغاية معينة قال تعالى :

﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى ﴾

(الأحقاف : ٣) .

ولم يكن اللعب والعبث باعثاً على خلق الكون وما يتصل به قال تعالى :
﴿ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما إلا بالحق ولكن
أكثرهم لا يعلمون ﴾ (الدخان ، ٣٨-٣٩) .

ولهذه النظرة الإسلامية إلى الكون آثار تربوية مهمة وهي :

١- سمو الإنسان عن الماديات وتعلقه بخالق الكون ومدبره ومن ثم إدراك
الهدف الأسمى لخلقه وهو عبادة الله وحده : ﴿ وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

٢- غرس الجدية وتنميتها في نفس الإنسان وهو يحاول البحث عن غاية لكل
ظاهرة من ظواهر الكون تمر أمامه أو يدركها بإحدى حواسه ويكون تأمله
لتلك الظواهر تأملاً منطقياً علمياً .

كما أن النظرة البراجماتية للحياة تقوم على الأسس السابقة وهي التغير
والتبدل فهي ترى أن الحياة عملية مستمرة من التكيف التجريبي للظروف
المتجددة وهي نظرة مادية بحتة تقصر الحياة على عمر الإنسان على هذا الكوكب
هذه النظرة تخالفها نظرة التربية الإسلامية للحياة فالحياة في التربية الإسلامية
ليست هذه الفترة المحدودة من عمر الإنسان وليست الفترة التي تمثل عمر الأمة أو
البشرية في هذه الحياة الدنيا بل تمتد طويلاً في الزمان وعرضاً في الآفاق واتساعاً

لتشمل عوالم أخرى وتمتد تنوعاً في الحقائق .

فامتدادها الزماني يشمل الحياة الدنيا الفانية والحياة الأخرى التي لا يعلم حدودها إلا الله وحده .

وامتدادها المكاني يشمل كوكبنا الأرضي وجنة عرضها السموات والأرض وناراً تتسع لتكون مثوى لمن عصى الله على مر الزمان .

أين هذا التصور الشامل للحياة من تصور تلك الفلسفات المادية – ومنها البراجماتية – للحياة في إطارها المادي الضيق .

وقد نقل القرآن الكريم تلك التصورات الباطلة عن أشباه هؤلاء الماديين للحياة فقال عز من قائل : ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (الأنعام : ٢٩) والتصور الإسلامي للحياة الدنيا تصور شامل يربطها بالحياة الأخرى ففي حين يقتصر نظر البراجماتيين للحياة على الدنيا فحسب تقوم نظرة التربية الإسلامية على الربط بين الدارين الدنيا والآخرة وتجعل السعي في الحياة الدنيا طريقاً موصلاً إلى الحياة الأخرى ولا تقيم فواصل بينهما وإصلاح الدنيا هو سبيل إلى إصلاح الآخرة والعمل المثمر البناء في الأرض سبيل إلى نيل ثواب الآخرة كما هو السبيل إلى عمارة الأرض ، والتقوى والعمل الصالح هما الأساس لعمارة الأرض ولن تتحقق السعادة في الدنيا إلا إذا قامت الحياة على منهج الله

تعالى الذي رضىه للناس .

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ (المائدة : ٦٥ ، ٦٦) .

تتميز نظرة التربية الإسلامية إلى الحياة بالوسطية والاعتدال فلا مغالاة في جانب الروح على حساب المادة ولا في جانب المادة على حساب الروح والإسلام إذ يقف هذا الموقف العملي يدعو إلى عمارة الأرض واستخراج كنوزها خدمة للإنسان . قال ﷺ : « إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها » .^(١)

(١) هذا الحديث ذكره علي بن العزيز في المنتخب بإسناد حسن عن أنس رضي الله عنه .

ما يتعلق بنظرة الفلسفة البراجماتية للإنسان

الإنسان في نظر الفلسفة البراجماتية كل متكامل لا تنفصل قواه العقلية والجسمية بعضها عن بعض . هذه النظرة إلى الإنسان تجعل منه شيئاً ثميناً يستحق العناية والنمو .

وهي نظرة مادية قد أغفلت جانب الروح وقطعت أية علاقة أو ارتباط بينه وبين خالقه في حين تنظر التربية الإسلامية إلى الإنسان على أنه ذلك الكائن الذي كرمه الله وجعله في أحسن تقويم وسخر له ما في السموات والأرض جميعاً وهياًه بما حباه من نعمة العقل والتدبير لإعمار الأرض واستخراج كنوزها وإقامة شرع الله فيها وهو كيان مزدوج التركيب فيه الجانب المادي والجانب المعنوي وقد أعلت التربية الإسلامية من قيمة الجانب المعنوي (روحه وفطرته) ولم تغفل الجانب المادي (جسمه وأعضاؤه) خلافاً للفلسفة البراجماتية التي ركزت على الجانب المادي وحده واستصغرت حقيقة الروح وارتباطها بالنشاط الإنساني .

فالتربية الإسلامية توافق فطرة الإنسان السليمة وواقعه ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سُوِّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (ص : ٧١-٧٢) .

وحين تحكم الروح هذا الكيان المترابط عندها يأخذ الإنسان وضعه الطبيعي

الذي ينسجم مع نشأته فهو لا يكبت الجسد ونشاطه ولا يغلب المادة على حساب الروح وبهذا يكون الإنسان مهياً لسلوك أحد الطريقتين طريق الخير أو طريق الشر قال تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد : ١٠)

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان : ٣) .

وإذا ترك الإنسان لفطرته السليمة فيسنزغ للخير لأنه يوافق فطرته التي فطره الله عليها .

« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه »^(١)
الحديث .

وإذا كنا نرى بعض النفوس تنزع للشر وتميل إليه فذلك لأن فطرتها قد فسدت وانحرفت من جراء بيئتها ولمؤثرات اجتماعية متعددة فلو خُلِّي بين الإنسان وفطرته ما اختار إلا الإيمان بالله .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز (٤/١٩٧) ومسلم في القدر (١/٢٦٥)

ما يتعلق بنظرة الفلسفة البراجماتية للمعرفة والقيم :

ترى الفلسفة البراجماتية أن المصدر الأساسي للمعرفة الإنسانية هو الخبرة والنشاط الذاتي للفرد أي أنها مكتسبة تأتيه من خلال تفاعله مع عناصر البيئة من حوله ومن خلال نشاطه وكفاحه في سبيل البقاء ومن أجل تأمين لقمة العيش والكساء والمأوى وكذلك من أجل التغلب على المشاكل التي تواجهه في الحياة وترى الفلسفة البراجماتية أنه لا قيمة لأية معرفة مادامت غير صالحة للتطبيق في الحياة الحاضرة والمستقبلية ، إن وظيفة المعرفة المكتسبة للفرد هي أن تساعد في توجيه خبراته اللاحقه بحرية ووعي وتزوده بالأسس والحلول المختلفة لكافة المشكلات التي تواجهه في المستقبل كما تتيح له حرية الاختيار والتعرف تجاه المواقف المختلفة والفلسفة البراجماتية تعلي من شأن الطريقة التجريبية وتعتبرها مصدراً مهماً للمعرفة ووسيلة أساسية للتحقق من صحتها .

وإذا كانت هذه الطريقة التجريبية كمصدر للمعرفة تطبق على المسائل العلمية والتكنولوجية فهي من وجهة نظر الفلسفة البراجماتية يجب تعميمها لتطبق في المسائل الاجتماعية والأخلاقية أيضاً وهي تعتقد أن هذه الطريقة التجريبية قد تأخذ وقتاً طويلاً حتى تصبح وسيلة لتكوين الأفكار واختبارها والتحقق من صحتها في المسائل الاجتماعية والأخلاقية .^(١)

(١) ولدى تعميم هذه الطريقة (التجريبية) لتشمل الجوانب الأخلاقية والاجتماعية يتبين للمتأمل الخطوره التي تجرف الإنسان إلى

إن هذا التصور للفلسفة البراجماتية عن طبيعة المعرفة ومصدرها يخالف تماماً تصور التربية الإسلامية فمصدر المعرفة الأساسي في التربية الإسلامية هو الله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ واللّه أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (النحل: ٧٨) .
والمعرفة في التربية الإسلامية تكاد تنقسم إلى نوعين :

إلهيه ، وبشريه وإن كنا نلاحظ أن النوعين يتفهمهما الإنسان بما لديه من أدوات كما نلاحظ أن النوعين متكاملان حيث يمكن ردهما إلى الله سبحانه وتعالى فهو الذي خلق الإنسان وركب فيه إمكانيات الوصول إلى المعرفة أو هداة إليها وطلب أن يستخدمها في النفع العام . (جلال ، ١٩٧٧م ، ص ٧٤) .

فمن حيث المصدر الألهي هناك آيات كثيرة تنص على أن مصدر المعرفة من الله سبحانه منها قوله تعالى : ﴿ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمه وعلمك ما لم تكن تعلم ﴾ (النساء : ١١٣)

أما المصدر البشري فهو ذلك الباب الذي عرف بين الفقهاء بالاجتهاد والرأي وترجع أهمية هذا المصدر إلى تقرير القرآن الكريم مبدأ الشورى قال تعالى : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨) .

وكذلك أمر القرآن برد المتنازع فيه إلى أولي الأمر وهم الذين أوتوا الفهم والحكمة وطرق الاستنباط قال تعالى : ﴿ ولوردوه إلى الرسول وإلى أولي

الأمر لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴿ (النساء : ٣٨) .

وأيضاً إقرار الرسول ﷺ لأصحابه الذين كان يبعثهم إلى الأقاليم على الاجتهاد فيما لم يجدوا حكمه في القرآن أو السنه .

ومن هنا يتضح أن الإسلام لا يخص أحداً بحق الاستثناء بتفسير النصوص ولا يحق إلزام الناس برأيه ، بل يمنح هذا الحق لكل مسلم حائز لأهلية البحث أما من ليست له أهلية البحث فإن واجبه أن يسأل أهل العلم والرأي .

وسائل المعرفة في التربية الإسلامية :

إن الله سبحانه وتعالى كرم بني آدم ومنحه أدوات التعليم والتعرف على حقائق الأمور وصفات الأشياء وخصائصه، وذلك من أجل أن يتابعوا في حياتهم بحشهم العلمي السليم ويكتشفوا أسرار هذا الكون الداله على عظمة خالقة سبحانه وتعالى حتى يصلوا إلى معرفة عظيم صفات الله وجليل حكمته ومن ثم معرفة ما يجب عليهم نحوه من طاعة وعبادة وشكر وحتى يحسنوا الانتفاع بما بث الله لهم في هذا الكون من قوى وخيرات كما أذن لهم دون إفساد في الأرض أو إضرار بالنفس أو أذى أو ظلم وعدوان .

أما الذين يعطلون أدوات المعرفة التي وهبهم الله إياها ، أو يستخدمونها في حدود ظواهر الحياة الدنيا ، ثم لا ينتقلون من ذلك إلى معرفة خالقهم ورازقهم فأحرى بهم أن يقال عنهم صم بكم عمي فهم لا يعقلون ، وذلك لأنهم

عطّلوا هذه الأدوات التي منحهم الله أيّاها عما خلقت من أجله فهم وفاقدوها سواء وأولئك شر الدواب عند الله قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبَكْمَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال : ٢٢) وأولئك هم المحكوم عليهم بالعذاب في جهنم قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذُنٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧٩) .

ولما وضع الله سبحانه الإنسان المكلف موضع المسؤولية عن كل تصرف من تصرفاته الإرادية نبه إلى أن المناط الأول للمسؤولية هي أدوات المعرفة التي لديه وأن اتباع ما ليس به علم يعرض هذه الأدوات إلى السؤال بين يدي الله وإلى مناقشة الحساب قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقَفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ أَنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦) .

أما المسالك والوسائل التي تسلكها المعرفة في طريقها إلى الإنسان فتتلخص في ثلاثة :

أولاً : الوحي والالهام من عند الله تبارك وتعالى .

ثانياً : الإدراك الحسي الذي يعتمد على ما تنقله الحواس الظاهرة والباطنة فينا من صور الأشياء والمعاني المنبثقة في الوجود إلى ساحة الإدراك الفكري ومن أمثلة ذلك علمنا بذواتنا وبالأرض والسماء من حولنا وبما نحس فيها من

أجسام وأشكال والآيات التي تؤكد أهمية الحواس كوسيلة للمعرفة كثيرة
دل على ذلك القرآن الكريم منها :

١- اللمس : قال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ
بَأْيَدِهِمْ لَقَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ (الأنعام : ٧) .

٢- الشم : قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ أُمِّي لَأَجِدَ رِيحَ
يُوسُفَ لَوْ لَا تَفْنَدُونَ ﴾ (يوسف : ٩٤) .

٣- السمع : قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (الملك : ٢٣) .

٤- الأبصار : قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِضَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ
وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا ﴾ (الأنعام : ١٠٤) .

ثالثاً : الاستدلال العقلي . وهو الذي يعتمد على العمليات العقلية التحليلية
والتركيبية والقياسية والاستنتاجية ، مع استفادة العقل في كل ذلك مما
نقلته الحواس إليه من صور الأشياء والمعاني المنبثه في الوجود .

ومما يتميز به القرآن الكريم مزية واضحة يقل فيها الخلاف بين المسلمين وغير
المسلمين لأنها تثبت من تلاوة الآيات ثبوتاً تؤيده أرقام الحساب ودلالات اللفظ
اليسير قبل الرجوع في تأييدها إلى المناقشات والمذاهب التي تختلف فيها الآراء
وتلك المزية هي التنويه بالعقل والتعويل عليه ولا يأتي تكرار الإشارة إلى العقل

بمعنى واحد من معانيه بل هي تشمل وظائف الإنسان العقلية على اختلاف أعمالها وخصائصها وتتعمد التفرقة بين هذه الوظائف والخصائص في مواطن الخطاب ومناسباته . (العقاد ، د.ت ، ص ص ٥ ، ٦) .

ومن هنا نلمس الكثير من مظاهر إعزاز القرآن للتفكير وإنهاضه للعقل وتقديره للعلم والعلماء ، وكثيراً ما يلجأ إلى العقل والتفكير في الاستدلال على وجود الخالق وربطه كثيراً من الأحكام الشرعية بالتفكير والتدبر ثم سخر يته من الذين يبطلون عقولهم فلا يتفكرون .

ميادين المعرفة في التربية الإسلامية :

التربية الإسلامية فتحت أمام الإنسان ميادين كثيرة للمعرفة منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي : (عبد العظيم ، ١٩٧٣ م ، ص ص ٥٨ ، ٥٩) .

(١) النظرة إلى المخلوقات عامة نظره فلسفية عميقة قال تعالى : ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء..... ﴾

(الأعراف : ١٨٥) .

(٢) وصف الأجرام السماوية مما تناوله علم الفلك قال تعالى : ﴿ وأية لهم

الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون

القديم ﴾ (يس : ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩) .

(٣) وصف الأرض وما فيها من جبال وأنهار وصحاري وسهول ووديان مما جاء في علم الجغرافيا قال تعالى : ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبثنا فيها من كل زوج بهيج ﴾ (ق : ٧) .

(٤) وصف تكوين الإنسان العقلي والجسمي مما تناوله علم الطب وعلم النفس قال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان مما خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (الطارق : ٥ ، ٦ ، ٧) وقال ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (الذريات : ٢١) .

(٥) الصلوات البشرية مما تناوله علم الاجتماع قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ، ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون ﴾ (الروم : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) .

(٦) تكوين الحيوان مما تناوله علم الحيوان قال تعالى : ﴿ أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ (يس : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣) .

(٧) تكوين النبات مما تناوله علم النبات قال تعالى : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا الماء صبا ، ثم شققنا الأرض شقا ، فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (عبس : ٢٤ - ٣٢) .

(٨) تكوين الجماذ مما تناوله علم الطبيعة والكيمياء قال تعالى : ﴿ وإن من الحجاره لما يتفجر منه الأنهار وأن منها لم يشقق فيخرج منه الماء ﴾ (البقرة : ٧٤) .

وأشار إلى الحديد في قوله تعالى : ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ﴾ (الحديد : ٢٥) .

والتربية الإسلامية تميزت بمصدرها الإلهي القرآن الكريم الذي دعا الإنسان إلى معرفة هذه الميادين ومن ثم دراستها وبحثها وتذليلها .

ولاريب أن المعرفة في التربية الإسلامية تتفق مع نظريات المعرفة المختلفه بل تشملها جميعاً كالبراجماتية التي تقوم على الحواس والتجربه والمثالية التي ترى العقل مصدراً للمعرفة . بل وتزيد وتتميز بالمصدر الإلهي (الوحي) الذي هو من عند الله سبحانه وتعالى السابق الذكر .

وإذا كان لكل معرفة ثمار فثمرة المعرفة في التربية الإسلامية هي التحقق من معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته ومعرفة الطريق الأمثل لاتباع منهجه وشرعه .

أما يتعلق بنظرة الفلسفة البراجماتية للقيم فهي تنظر إليها على أنها أمور إنسانية تنبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض وليست أخلاقاً متعالية تفرض على الإنسان فرضاً من جهة عليا وبهذا الاعتقاد تخالف الفلسفة البراجماتية الأديان السماوية فضلاً عن مخالفتها للتربية الإسلامية .

ولو أردنا أن نصنف القيم التي تتبناها التربية الحديثه حسب النظرة الإسلامية لوجدنا أن هذه القيم تندرج تحت قسمين هما :

١- قيم الكفر . ٢- قيم النفاق .

فالفلسفات المادية كالواقعية والماركسية ، والوجودية تحجب وتنكر عالم النشأه وعالم المصير وتجعل محاور الوجود القائم هو الوجود المادي لا غير بينما الفلسفة البراجماتية وهي من الفلسفات المادية إلا أنها تقع تحت قيم النفاق لأن القيم عندها مفيدة بمقدار تحقيقها للمنفعة المقصودة منها فإذا لم تحقق المنفعة المرجوه لم تصبح ذات قيمة . (الكيلاني ، ١٩٨٨ م ، ص ٣٦٧) .

أما التربية الإسلامية فقد أعتنت بالقيم لأن الإسلام أراد لها أن تكون محركات للنهوض بالمسلمين حتى يأخذوا في أسباب التقدم والتحضر ، والقيم في المجتمع مثل القلب في الإنسان فإذا صلح القلب صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله ، كذلك القيم إذا صلحت صلحت الأمه كلها ، وإذا فسدت فسدت الأمه كلها ، والإسلام قد وضع للقيم حداً بحيث لا يدع النفوس حيرى

أو متعطشة إلى الوقوف على إتجاهه، وإنما يجعلها مركزة على قواعد ثابتة .
(النيفر ، ١٤٠٠هـ ، ص ٢٣) .

والمبادئ والقيم التي أعتنت بها التربية الإسلامية جاءت نتيجة طبيعیه لفطرة الإنسان وإمكانياته العقلية والنفسية والجسمية والاجتماعية وهي تنتظم في الإطار الفكري للإسلام ، ومن خصائص هذه القيم أنها ثابتة لا تتغير أي أنها مطلقة وأبدية لأنها قائمة على الفطرة الإنسانية ، والفطرة الإنسانية ثابتة منذ خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان (سلطان ، ١٤٠٠هـ ، ص ١٨) .

بخلاف النظرية البراجماتية التي ترى أن جميع القيم نسبية بالقياس إلى رغبات البشر فالقيم متغيره تبعاً للرغبات وإستجابة للتغيرات في الأحوال التأريخيه أو الديانات الجديدة، ومكتشفات العلم وتطور التكنولوجيا والتقدم في مجالات التربية وما إلى ذلك . (نيلر ، ١٩٧١م ، ص ٣٤) .

أما في التربية الإسلامية فالقيم ثابتة ومطلقة ففي الإسلام الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع، ولا يقبل قول القائلين الحسن ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل لأن عقول الناس قاصره من جهة ومتفاوتة من جهة أخرى، وهي صحيحة اليوم كما كانت صحيحة في الماضي وهي صالحه لجميع البشر ومنظمة لعلاقاتهم ومعاملاتهم بعضهم مع بعض . والقيم الروحية تحتل مكانة أكبر في الإسلام من القيم المادية لأنها تساعد على تحقيق الهدف الأكبر الذي من

أجله خلق الله الإنس والجن وهو عبادة الله سبحانه وتعالى وحده .

قال تعالى: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذريات :

٥٦) .

ولقد وضع الإسلام القيم وبين أصولها وترك لنا المجال فسيحاً لإقامة ما نريد

إقامته على حسب ما أحب الإسلام موزونة بميزانه الحق . (النيفر ، ١٤٠٠هـ ،

ص ٢٦) .

ثانياً : الجانب التربوي :

١ - ما يتصل بمادة التربية :

تعتبر الفلسفة البراجماتية من أكثر الفلسفات التربوية اهتماماً بالتربية والمؤسسات التربوية وهذا الاهتمام يوافق اهتمام التربية الإسلامية بالتربية . إذ لا « تحقيق لشريعة الإسلام إلا بتربية النفس والجيل والمجتمع على الإيمان بالله ومراقبته والخضوع له وحده ، ومن هنا كانت التربية الإسلامية فريضة في أعناق جميع الآباء والمعلمين ، وأمانة يحملها الجيل للجيل الذي بعده ، ويؤديها المربون للناشئين ، وكان الويل لمن يخون هذه الأمانة أو ينحرف بها عن هدفها أو يسئ تفسيرها أو يغير محتواها » . (النحلاوي ، ١٩٧٩ م ، ص ١٧) .

والبراجماتية تؤمن بأن التربية هي الحياة نفسها تستمر ما دام الإنسان حياً . ولا تنتهي بتخرج الإنسان من المدرسة أو أي مؤسسة تربوية أخرى مهما علت مرحلتها . وهذا المفهوم دعت إليه التربية الإسلامية وحثت عليه حيث يقول الرسول الكريم ﷺ : « اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد » فالتربية الإسلامية تحث على الاستمرار في طلب العلم .

لكن الفلسفة البراجماتية حثت على استمرارية التعلم بناءً على المبدأ الذي تؤمن به وهو التغير والتطور والنمو الدائم . وهذا المبدأ يخالف منهج التربية الإسلامية في الحث على استمرارية طلب العلم .

أما بالنسبة لمادة التربية في الفلسفة البراجماتية فهي تعتمد على الحياة

الاجتماعية كما يقول مفكرها جون ديوي : " إنني أعتقد أن الحياة الاجتماعية للطفل هي الأساس الذي يركز عليه أو يرتبط به جميع تدريبيه أو نموه " .
(عبدالرحمن ، ١٩٦٧ م ، ص ٦٥) .

وهذا التصور يخالف نظرة التربية الإسلامية حيث إن التربية في الإسلام « عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وغاياتها . وأن المربي الحق على الإطلاق هو الله سبحانه الخالق . خالق الفطرة ، وواهب المواهب ، وهو الذي سن سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها . كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها » .
(النحلاوي ، ١٩٧٩ م ، ص ١٣) .

فمادة التربية في التربية الإسلامية تستمد جذورها من الشرع والدين بخلاف التربية البراجماتية التي تستمد مادتها من الحياة الاجتماعية وتهمل الدين وترى الفلسفة البراجماتية أن التربية هي تجديد للخبرة وأن عملية التربية والغاية منها شيء واحد ، وأن وضع أي غاية خارج التربية باعتبار أن تلك الغاية هدفها أو مصدرها ينتزع من عملية التربية الكثير من مغزاها . وهذا المفهوم أيضاً مخالف لمفهوم التربية الإسلامية . فالتربية الإسلامية لها غاية وهي عبادة الله وطاعته وتحكيم شريعة الله في جميع أعماله وتصرفاته ، ولا يجد حرجاً فيما حكم الله ورسوله بل ينقاد مطيعاً لأمر الله ورسوله : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم . ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت

ويسلموا تسليماً ﴿ (النساء : ٦٥) . والإنسان معرض للشر والخسران لا ينقذه منها إلا الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، والتعاون ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر على إحقاق الحق ومحاربة الباطل . قال تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (سورة العصر) . ففي هذه السورة إشارة إلى أن خلاص الإنسان من الخسران والعذاب لا يتم إلا بثلاثة ضروب من التربية ، وهذه الضروب تفتقدها أو تهملها الفلسفة البراجماتية ولا تلقي لها بالاً ، وهي :

- ١- تربية الفرد على الإيمان بالله والاستسلام لشريعته والإيمان بالغيب .
- ٢- تربية النفس على الأعمال الصالحة ، وعلى منهج الحياة الإسلامية في الحياة اليومية والمواسم السنوية والتصرفات المالية وجميع شئون الدنيا .
- ٣- تربية المجتمع على التواصي بالحق للعمل به ، والتواصي بالصبر على الشدائد وعلى عبادة الله سبحانه ، وعلى التزام الحق . (النحلاوي ، ١٩٧٩ م ، ص ١٨) .

وبعد هذا « فإن المصائب التي تنزل بالمجتمع الإنساني عامة ، والكوارث التي تصيب المجتمعات الإسلامية ، وظلم الإنسان للإنسان ، واحتكار الدول القوية لخيرات الأمم الضعيفة ، كل ذلك نتيجة لسوء تربية الإنسان ، والانحراف به عن ابتغاء كماله ، وعن فطرته وطبيعته الإنسانية » . (النحلاوي ، ١٩٧٩ م ، ص ١٨)

٢- ما يتصل بطبيعة الأهداف :

ترفض الفلسفة البراجماتية أن يكون للتربية أهداف مفروضة عليها من الخارج . لأن الأهداف المفروضة من الخارج لا تمثل أهداف التلاميذ الحقيقة ولا تنبع من خبراتهم ونشاطهم . وهذا في رأيي خطأ لأن التلميذ في سنه المبكرة وتجاربه المحدودة لا يمكنه من وضع الأهداف العظيمة التي يصبو المجتمع لتحقيقها عن طريق تعليم أبنائه للنهوض بالجمع في مستقبل الأيام .

صحيح أننا يجب علينا تنمية خبرات التلاميذ واستغلال نشاطهم في الأعمال المفيدة التي تكبسهم معرفة للحياة وتربية أجسامهم التربية الصحيحة لكن المربين يجب عليهم وضع الأهداف العامة المنبثقة من الدين والأخلاق بالإضافة إلى تعليمهم وتثقيفهم بالعلوم الطبيعية والرياضية والتي تعد من سمات العصر الحديث ، هذا بالإضافة إلى اللغات المتعامل بها في الوقت الحاضر .

الهدف الأعلى والأسمى عند الفلسفة البراجماتية هو تحقيق استمرارية التربية بمعنى الهدف هو أن يستمر الفرد في تربيته وتعلمه وتكيفه مع بيئته وحياته هذا في حين أن هدف التربية في المجتمعات الإسلامية هو معرفة الله الخالق سبحانه وتعالى وهذا أشرف درجات العلم والمعرفة . قال تعالى : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ (الذريات : ٢١) ليس هذا فقط بل عبادته والتمسك بشرعه سبحانه بالطريقة التي ارتضاها سبحانه وتعالى بالأثمار بأوامره واجتناب نواهيه ... بالمحافظة على آخر الأديان « الإسلام » الذي ارتضاه الله

سبحانه ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم
الإسلام ديناً ﴾ (المائدة : ٣) .

ويتم ذلك بالرجوع إلى المصدرين العظيمين القرآن الكريم والسنة النبوية
المطهرة واتباع خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ الذي لم يترك خيراً إلا دل الأمة
عليه ولا شراً إلا حذرهما منه .

والفلسفة البراجماتية تهتم بالحاضر وتهمل الماضي فلا غرابة أن نادت بتغير
الأهداف . فهي تقول بتغير القيم كما مر ، فالقيم المتغيرة تحدث تغيرات في
المقاييس وبالتالي تتغير الأهداف ، وينتج عن ذلك اضطراب في المجتمع بمعنى أن
القيم النسبية تحدث تفككاً في المجتمع .

فالمجتمع ليس مجموعة أفراد تجمعهم غريزة العيش المشترك لكنه زيادة على
ذلك يضم قيماً ثابتة . تبقى هذه القيم وإن انقرض معظم أفراد المجتمع ، أو كانوا
موجودين لكنهم تنكروا لها ، ولو كانوا أحياء بأجسادهم غير أنهم أموات لعدم
فاعليتهم ، من ذلك ما نراه من كثير من المسلمين فإنهم بالرغم من معرفتهم
للعقيدة الإسلامية وأحكامها إلا أن أنانيتهم تدفعهم لأخذ وتفضيل الأحكام
والآراء الدخيلة على الإسلام .

إذاً فالأهداف عند البراجماتيين متغيرة وغير ثابتة وهذا يخالف نهج
الإسلام حيث إن أهداف التربية الإسلامية ثابتة لأن مصادرها ثابتة : القرآن

والسنة النبوية . فالتربية الإسلامية تربية واعية هادفة وقد جعل الله أسسها في هذه الشريعة التي أنزلها لجميع البشر، فالهدف السامي الذي عينه الله لجميع البشر الهدف الأساسي للوجود الإنساني في الكون ، هو عبادة الله والخضوع له ، والخلافة في الأرض لتعميرها بتحقيق شريعة الله وطاعته وقد ورد صريحاً في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) وإذا كانت هذه مهمة الإنسان في الحياة فإن تربيته يجب أن تكون لها الهدف نفسه، لأن التربية الإسلامية هي تنمية فكر الإنسان ، وتنظيم سلوكه وعواطفه على أساس الدين الإسلامي . وبذلك تكون الغاية النهائية للتربية الإسلامية هي تحقيق العبودية لله في حياة الإنسان الفردية والاجتماعية على حدٍ سواء .

والعبودية لله سبحانه وتعالى تتحقق بالاعتقاد الصحيح وتأدية الشعائر التعبدية وتطبيق الشريعة وعمارة الأرض بمقتضى منهج الله سبحانه .

وعبادة الله هي غاية الوجود الإنساني كله كما فهم ذلك سلف الأمه من قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

إن هذه الآية تمثل معنى شاملاً لكل حياة الإنسان في جميع شؤونه من مبدأه إلى منتهاه كما قال تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ (الأنعام : ١٦٢) والله سبحانه وتعالى فرض على الإنسان عبادة تناسب تكوينه ومهمته والعبادة التي كلف بها الإنسان تشمل الصلاة والنسك

(الشعائر التعبدية) وتشمل معها شؤون الحياة الأخرى كلها في تعمير الأرض تحقيقاً لمبدأ الخلافة بتطبيق شريعة الله لتحكم الأرض وإقامة الحياة على قاعدة أخلاقية في السياسة والاقتصاد وعلاقات المجتمع وعلاقات الأسرة وفي الفكر والأدب وبذلك تتحقق الغاية من وجود الإنسان ويتحقق مفهوم العبادة الصحيح ويكون الخلاص لهذه الأمة ويتحقق وعد الله لعبادة المؤمنين .

قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ (النور : ٥٥) . (قطب ، ١٩٨٨م ، ص ١٧٤ ، ٣٦١) .

٣- ما يتصل بالمنهج :

تقوم عملية التربية في واقعنا المعاصر على خطة ترسم فيها أهداف التربية وأساليبها والخطوات التي يجب اتباعها لتنشئة جيل في مرحلة معينة من عمره في أمة معينة .

والمنهج هو (عبارة عن مجموع الخبرات التي يقوم فيها المعلم بدور واضح ذي أهمية ، ويمارس عملاً ذا فعالية وتأثير ، ويتحمل الكثير من عبء العمل ومسئوليته ، ويشترك في العمليات التي تحقق ارتباط المنهج بالثقافة السائدة في المجتمع وتقوم المدرسة باعتبار أنها مؤسسة اجتماعية بتأثير واضح ومميز . فهي المكان الذي يحقق فيه المنهج أهدافه . وتؤدي وظائف تربوية ذات تأثير وفعالية) (مجاور وآخرون ، ١٩٨١ م ، ص ٩٢) .

وقد اختلف المربون في أساليب وضع المناهج وترتيب المواد الدراسية باختلاف فهمهم لأهداف التربية ومعناها وأساليبها .

وقد سبق أن بينت أن الفلسفة البراجماتية تنكر ثبات القيم والأخلاق وأنه ليس هناك قيم مطلقة بل كل شيء قابل للتغير تبعاً لطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع ووفقاً لمبدأ المنفعة والمصلحة . وكذلك القول بأنه ليس للتربية أهداف خارجة عنها وأي هدف من خارج التربية يفقدها مغزاها . وهنا تقول أيضاً كما يرى مفكرها (جون ديوي) " ليس المركز الحقيقي للمنهج هي المواد المنفصلة المستقل بعضها عن بعض بل مركزه الحقيقي نشاطات الطفل الذاتية وخبراته فمن هذه

الخبرات والنشاطات يتكون المنهج وبها يجب أن تبدأ الدراسة " (الشيباني،

١٩٧٨م ، ص ٣٥٥) .

يتضح من ذلك أن الفلسفة البراجماتية تقرر قابلية التغير والنمو للمنهج فكما أن الأهداف متغيرة فلا بد أيضاً أن يكون المنهج متغيراً أيضاً وأن المنهج لا بد أن يصدر من خبرات التلاميذ أنفسهم وهذا التصور للمنهج من وجهة نظر الفلسفة البراجماتية يخالف منهج التربية الإسلامية الذي يتميز بالثبات والصدق وتصوير الطبيعة البشرية في صورتها الحقة وعلاج أمراضها بالدواء الناجع ، وذلك لأن التربية الإسلامية لا تركز على فكر بشري في أصولها كما ترى ذلك الفلسفة البراجماتية ، وإنما على حقائق الوحي الثابتة من عند الله سبحانه وتعالى : ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ . (الملك : ١٤)

إن المنهج الذي تتطلبه التربية الإسلامية يجب أن ينطبع بطابعها ويتصف بأهم صفاتها ومميزاتها ويحقق أهدافها ، ويبني على أسسها وتصوراتها الفكرية عن الكون والحياة والإنسان وذلك بأن تتحقق فيه الصفات التالية : (النحلاوي، ١٩٧٩م ، ص ص ١٧٧ ، ١٧٨)

أولاً : أن يكون في تربيته وموضوعاته موافقاً للفطرة الإنسانية يعمل على تركيبتها، وحفظها من الانحراف ، وملاءمتها ، لتلك الفطرة التي أشار إليها الحديث القدسي : ﴿ خلفت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين... ﴾ والحديث النبوي « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه

يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ..» .^(١)

ثانياً : أن يكون محققاً لهدف التربية الأساسي " إخلاص الطاعة والعبادة لله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له " ، ولجميع أهدافها الفرعية التي ترمي إلى تقويم الحياة وتوجيهها لتحقيق هذا الهدف في جميع جوانب الثقافة والتربية التي وضع المنهج لتعهدا والنهوض بها ، كالجانب العقلي والجانب الوجداني والجسمي والاجتماعي .

ثالثاً : أن يكون في تدرجه ومستواه ، موافقاً ، في كل جزء منه ، لمرحلة التي يوضع لها من حيث طبيعة الطفولة فيها ، ومستواها ، مفاهيمها ومن حيث الأنوثة والرجولة والمهمات الاجتماعية التي يهيأ لها كل من الجنسين .

رابعاً : أن يراعي في تطبيقاته ونشاطاته وأمثلته ونصوصه ، حاجات المجتمع الواقعية ، المعاشية ، ومنطلقاته الإسلامية الرفيعة كالأعتزاز بالأمة الإسلامية والولاء لها . وذلك بتحقيق الولاء لله سبحانه وتعالى ، والطاعة لرسوله ﷺ الذي أرسله ليطاع بإذن الله ، وبمراعاة الاختصاصات التي تحتاجها الأمة ، في كل بيئة بحسب ظروفها الطبيعية التي يسرها الله ، من خامات صناعية أو بيئة زراعية ، أو مناخ مداري رياح تجارية بحرية أو برية . والاختصاصات التي لا بد منها لرقى المجتمع في كل بيئة كالاختصاصات

(١) أخرجه البخاري في الجزء الرابع ص ١٩٧ في الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين ، ومسلم في الجزء الأول ، ص ٢٦٥ في باب معنى كل مولود يولد على الفطرة .

الصحية ، والحربية ، والإدارية .

أي الأخذ من كمال جانب من جوانب الحضارة بطرف مما لا يتعارض مع الإسلام ولا يختلف معه ، بل يعين على رفع شأن الأمة وتحقيق شريعة الله وعدله وحضارة الإسلام الفكرية والروحية .

خامساً : أن يكون المنهج بمجموعه ، ونظامه ، سليماً من التعارض موجهها وجهة إسلامية واحدة ، موافقاً للوحدة النفسية التي فطر الله الناس عليها ، ولوحدة الخبرة التي يراد إعطاؤها للناشئ حول أسرار الكون وكائناته ، وسننه ، وقوانينه ونظمه ووقائعه ، فلا تعلل هذه الوقائع والكائنات تعليقات متعارضة تعارضاً يظهر بين مادة دراسية وأخرى . بل يجب أن تبني العموم والموضوعات بعضها على بعض وأن يأخذ بعضها بأطراف بعضها الآخر ، فيكون بينها ترابط وتناسق يشمل موضوعات كل مادة على مدى العام الدراسي فيعتمد منهج كل مرحلة على سابقه أو يرتبط به . . ويكون التناسق والترابط بين كل سنة والتي تليها والتي تسبقها فترتب مناهج كل سنة من المرحلة ذاتها ترتيباً متسقاً متواصلاً ، وفي السنة الواحدة يجب الربط ما أمكن ، بين كل مادة وأخرى كما يجب صبغ جميع المواد بصبغة إسلامية واحدة ، وتوجيهها بحيث تحقق بمجموعها هدفاً أسمى واحداً . وكذلك في سائر السنوات والمراحل المختلفة من الحياة المدرسية والجامعية . أي يجب أن تصدر جميع هذه المناهج عن أصل

واحد ، هو أن العالم كله ملك لله سبحانه وتعالى وأن جميع الناس فيه ، عباد له يحيون وفق مشيئة الله وحسب شريعته وعلى هذا تتحول جميع العلوم الدنيوية لتصبح عاملاً من عوامل تكوين النفس الإنسانية تكويناً ربانياً على طريقة التربية الإسلامية وأسسها ولا حاجة حينئذ إلى تقسيم مواد المنهج إلى علوم دينية وعلوم دنيوية .

سادساً : أن يعنى بالجوانب الإسلامية السلوكية العملية كالتربية على الجهاد في سبيل الله وعلى نشر الدعوة الإسلامية ، وإقامة المجتمع المسلم في الجو المدرسي ، بحيث يحقق جميع أركان الإسلام وشعائره ، وأساليبه التربوية، وتعاليمه ، وآدابه في حياة الطلاب الفردية وعلاقاتهم الاجتماعية .

٤- ما يتصل بطريقة التدريس :

ترى الفلسفة البراجماتية أن مسألة الطريقة ترجع في النهاية إلى مسألة ترتيب نمو قوى الطفل واهتمامه . وأن القانون الخاص بتقديم المواد ومعالجتها هو القانون الذي تتضمنه طبيعة الطفل ذاتها .

وهذا المبدأ قد كان للتربية الإسلامية السبق فيه فقد راعى المربون المسلمون الاختلاف بين طرق تدريس الكبار والصغار وقد شملت عناية بعض المسلمين بطرق التدريس من حيث دراسة الفروق في المواهب الفطرية والقدرات والغرائز ، فابن سينا يؤكد على أهمية العناية بدراسة ميول الطفل وجعلها أساس تعليمه وتوجيهه حيث يقول : " ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مؤاتية ولكن ما شاكل طبعه ، وأنه لو كانت الآداب والصناعات تنقاد بالطلب والمرام دون المشاكلة الملائمة ما كان أحد غفلا من الأدب . وإذن لأجمع الناس كلهم على اختيار أشرف الآداب وأرفع الصناعات " ، فينبغي لمدرّب الصبي إذا رام اختيار صناعة أن يزن أولاً طبع الصبي ويسبر قريحته ويختبر ذكائه مبيناً له الصناعات بحسب ذلك ويحرص الغزالي على التفريق بين أساليب تعليم الكبار والأساليب التي تتبع مع صغار الأطفال ويرجع ذلك إلى الاختلاف في درجة الإدراك بين الطفل والبالغ فيقول : " إن أول واجبات المربي أن يعلم الطفل ما يسهل عليه فهمه لأن الموضوعات الصعبة تؤدي إلى ارتباك العقل وتنفره من العلم " (الغزالي ،

والتدرج في تلقين العلوم للمتعلمين طريقة من طرق التدريس المفيدة التي أوصى بها علماء المسلمين فهذا ابن خلدون يقول : « أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج شيئاً فشيئاً ، و قليلاً قليلاً ، يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعي في ذلك مدة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي إلى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكه في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتها أنها هيئات لفهم وتحصيل مسائله » (ابن خلدون ، د. ت ، ص ٥٠٢) .

هذه بعض آراء المسلمين في طرق التدريس وهي تدل دلالة واضحة على مدى اهتمامهم بمراعاة ميول الأطفال واختيار الطريقة الصحيحة التي تصلح لتعليمهم ، والفلسفة البراجماتية تحث على التعلم بالعمل وفي ذلك يقول (جون ديوي) : " وليس من المعترف به اليوم أن المدرسة تستطيع أن تزيد شيئاً في عقل الطفل أو ترفع من نسبة ذكائه وغاية ما يمكننا قوله في هذا الصدد أنها تستطيع العمل على ترقية المقدرة الفكرية فيه كما تتعهد مواهبه الفطرية بالسقي والنماء " (عبد العزيز ، ١٩٧١ م ، ص ٣١) .

وهذه الطريقة قد بينتها التربية الإسلامية منذ عهد النبي ﷺ فمن ذلك تعلم الصحابة رضوان الله عليهم وضوء الرسول ﷺ وتصحيح الرسول لهم أو تصحيح بعضهم بعضاً . وفي حديث المشي في صلاته الذي رواه أبو هريرة

رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس في ناحية المسجد فصلى ، ثم جاء فسلم عليه ، فقال له رسول الله ﷺ « وعليك السلام ارجع فصل فإنك لم تصل » فقال في الثانية أو التي تليها « علمني يا رسول الله . وفي رواية لمسلم : والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني ، فقال : « إذا قمت إلى الصلاة فاسبغ الوضوء ثم استقبل القبلة ، ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفع حتى تستوي قائماً ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم ارفع حتى تطمئن جالساً ، ثم افعل ذلك في صلاتك كلها » (١) .

في هذا الحديث تشويق الرسول ﷺ لهذا المتعلم وتركه يحاول تصحيح خطئه بنفسه أو يعجز فيسأل وهذا أصل انبثق منه « أسلوب التعلم بالمحاولة والخطأ » كما يسمونه في التربية الحديثة .

وللتعليم بالعمل والممارسة في التربية الإسلامية آثار تربوية أهمها :

أولاً : الإتقان العملي خير مقياس ، سواء ذلك في الاستحفاظ أو أداء العبادات ، لذلك كان من نتائج هذا الأسلوب تعود الدقة وتوخي صحة النتائج فكل متعلم يمارس العمل أمام معلمه أو كل معلم يمارس العمل ثم يتابعه المتعلم ويصحح له أخطاءه .

ثانياً : شعور الإنسان بالمسؤولية عن صحة العمل وهذا يجعل منهجية التربية

(١) أخرجه البخاري حديث رقم (٧٥٧) ، ومسلم حديث رقم (٤٩٧) ، والنسائي في سننه (٢) ، (١٢٤) .

الإسلامية منهجية حركية فكرية عاطفية مبنية على الوعي والدقة وصحة الأداء ، فالدقة في العواطف والاتجاهات والأفكار تتجلى في إخلاص النية وتوجيه العمل نحو إرضاء الله جل جلاله بلا رياء ولا استكبار أو استهتار .
ثالثاً : التواضع وحب العمل واستبعاد الغرور ، وترك الكسل والتواكل فكل إنسان مؤاخذ بعمله .

رابعاً : شدة الاقتناع وبلوغه أعماق النفس ، فعلى المربين المسلمين أن يأخذوا بهذا المبدأ لما له من مردود طيب وأثر في نفوس المتعلمين . (النحلاوي ، ١٩٧٩ م ، ص ص ٢٤٢ ، ٢٤٣) .

٥- ما يتصل بتربية الطفل :

الفلسفة البراجماتية تجعل الطفل ونشاطه محور عملية التربية ، والطفل في التربية البراجماتية هو محور البداية وهو المركز والغاية في عملية التربية وفي ذلك يقول (جون ديوي) : " وترمي التربية الحديثة إلى نقل محور التربية من البالغ إلى الطفل . فالطفل هو مركز الجاذبية وهو كالشمس التي تدور حولها سائر الأفلاك الأخرى " (عبد العزيز ، ١٩٧١ م ، ص ٢٧) .

والتربية البراجماتية وهي تربية نفسية اجتماعية تراعي طبيعة الطفل كما تراعي طبيعة المجتمع ، وهي تسعى إلى إعطائهم من الحرية ما يكفي لتخليصهم من الكتب والسماح لهم بالنمو نمواً طبيعياً بحيث تنمو ميولهم واستعداداتهم نمواً

طبيعياً سليماً بعيداً عن كل تدخل قد يؤدي إلى كبثها ، وفي ذلك يقول :
(جون ديوي) " إننا لا نقصد ترك الطفل لأهوائه ومزاجه من غير ضابط ، وإنما نريد أن نسمح له بالقدر اللازم من الحرية الذي يخلصه من الكتب ، والذي هو ضروري لنمو الذكاء نمواً حراً كاملاً " . (ديوي ، د.ت ، ص ٨١) .

نظرة الفلسفة البراجماتية إلى تربية الطفل يمكن الاستفادة منها وهي تحتاج إلى توجيهها الوجهة الإسلامية ، فالتربية الإسلامية تهتم أولاً وقبل كل شيء بفطرة الطفل التي هي بطبيعتها قابلة للإيمان كما هي قابلة للكفر وقابلة للخير كما هي قابلة للشر وقابلة للاستقامة كما هي قابلة للانحراف وقابلة للسمو كما هي قابلة للهبوط . وهذا كله يجعل الاهتمام التربوي منصباً على ما يجب أن يكون ، لأن التربية الإسلامية هي إعداد للمستقبل من هذه الزاوية مراعاة لعنصر الفطرة في الطفل والطفولة كما يجعل وظيفة التربية توجيه ذات الطفل بتوجيه الميول والمواهب والقدرات في إطار العقيدة الإسلامية وقد نبهت الآية الكريمة إلى هذا المعنى بكل وضوح : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (الروم : ٣٠) .

ومن هنا كانت عناية الإسلام بالطفولة واهتمامه ببث روح الولاء للدين والعقيدة والقيم في الفرد منذ طفولته ومنذ نعومة أظفاره ، ومنذ أن يبدأ تميزه بين الأشياء ومنذ أن تبدأ قواه الإدراكية بالتمييز بين الخير والشر والنافع ، والضار ،

ومنذ أن يبدأ كيانه العقلي .

والأمة التي لا تستطيع أن تبث روح الولاء للدين والتضحية والمثل الكريمة والاتجاهات السليمة في نفوس الأطفال منذ بداية نشأتهم لا تستطيع أن تضمن ولائهم للدين بعد أن يحتلوا مراكزهم في حياة الجماعة والمجتمع وكما يجب بث روح الولاء للدين منذ الصغر يجب بث روح التضحية في سبيل الدفاع عنه ونشره . والإنسان مفطور على التدين بالإسلام وأنه يشعر بالحاجة إلى خالقه ومدبر أمره ولا يستطيع أن يتحول عن هذا الشعور أو ينفصل عنه .

وقد حرص المربون المسلمون على العناية بالطفل والرفق في معاملته وعلاج

زلاته بروح العطف والرفقة .

ما يتصل بالمعلم ونوعيته :

مهمة المعلم في الفلسفة البراجماتية تقوم على صنع وتكوين الحياة الاجتماعية بصرف النظر عن طبيعتها ومدى موافقتها لمنهج الله أو خروجها عنه . وهو مجرد وسيلة أو أداة لسيير العملية التربوية فبذا لا يكون قادراً على إحياء تراث أمة أو توجيه ثقافتها أو تغيير مفاهيم خطيرة يرسف في أغلالها المجتمع البراجماتي .

في حين أن المعلم في التربية الإسلامية يتمتع بمكانة مرموقة في مجتمعه قال رسول الله ﷺ « خيركم من تعلم القرآن علمه »^(١) وقال عليه الصلاة والسلام : « إنما بعثت معلماً »^(٢) .

فمهمة المعلم متممة لما قام به الأنبياء فبذا يسعى إضافة إلى عمله التعليمي إلى ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس التلاميذ ويصبغ العمل التربوي بصبغة إسلامية واضحة في كل مادة يدرسها محققاً أهداف الشريعة من تدريس كل مادة فهو يحقق التكامل في المنهج المدرسي وهو الهدف الذي تسعى إليه النظريات التربوية المعاصرة .

والمعلم له مكانته في التربية الإسلامية وذلك للدور الأخلاقي الذي يقوم به

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه . ج ٨ ، ص ٦٩١ ، فتح الباري .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، الجزء الأول ، ص ١٠١ .

وقد أورد علماء المسلمين بعض الصفات التي يجب أن تتوفر في المعلم منها :

الشفقة على المتعلمين ، وأن يجريهم مجرى بنيه ، وألا يدع من نصح المتعلم شيئاً ، وأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها ، ثم ينبهه إلى أن الغرض من طلب العلم الثقافة والقرب من الله دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، وأن يهتم بأخلاق التلاميذ أهتمامه بعقولهم ، وأن يزجرهم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ، ولا يصرح بالزجر إلا عند الضرورة ، وعليه أن يختار للمبتدئ المسائل البسيطة كثيرة الوقوع ، لأن ذلك أقرب إلى الفهم والضبط ، وعلى المتكفل ببعض العلوم ألا يقبح علوم الآخرين في نفس المتعلم ، وعلى المعلم ألا يتردد في أن يقول : لا أدري إذا كان لا يدري .

وعلى المدرس أن يربي في التلميذ ملكة الاجتهاد والنظر لا مجرد التقليد والتسليم حتى ينشأ مستقلاً لا نسخة من معلمه .

ويوصي ابن جماعة المدرس ألا يدرس وقت جوعه أو عطشه أو همه أو غضبه أو اضطرابه أو قلقه ، ويوصيه كذلك ألا يطيل الدرس تطويلاً يمل ولا يقصره تقصيراً يخل ، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين . وعليه أن لا يكون في مجلسه مكان مميز لأحد الناس بل كل من سبق لموضع فهو أولى به ، هذا مع استثناء ما تدعو إليه الضرورة العملية من جلوس العلماء والمعيدين في أمكنة خاصة . (شلبي ، ١٩٦٠ م ، ص ص ٢١٨ ، ٢١٩) .

الفصل الخامس

الخلاصة

النتائج

التوصيات

المصادر والمراجع

لقد قام الباحث بدراسة موضوع « الفلسفة البراجماتية في مجال التربية ، دراسة نقدية من وجهة نظر التربية الإسلامية » ومن خلال فصول هذه الدراسة تبين للباحث عدة أمور تهم المربين والدارسين في مجال التربية . وكذلك بعض التوصيات التي يراها الباحث جديرة بالاهتمام من قبل المختصين في المجال التربوي في المدارس والجامعات في مجتمعنا خاصة وفي المجتمعات الإسلامية عامة .

وفيما يلي نستعرض أهم النتائج والتوصيات :

أولاً : النتائج :

- ١- إن كثيراً من المجتمعات في الواقع المعاصر بما فيها المجتمعات الإسلامية أصبحت تفكر بنفس الطريقة التي تهدف إليها الفلسفة البراجماتية .
- ٢- أن الغرب يقوم بعملية غزو استهلاكي لعالمنا الإسلامي لنهب خيراته وثرواته أولاً ، وكذلك كعملية ثأرية تشتعل نارها في قلوب الغربيين تجاه العالم الإسلامي كسر أنف أنانيتهم واستعلائهم لأكثر من ألف سنة ولأن ثقل القوى الغربية قد انتقل إلى أمريكا فقد اختزلت الأفكار والقيم الغربية وأخذت شكلها المتطور في المفاهيم البراجماتية الأمريكية .
- ٣- صارت التعاليم السماوية تؤول وتكيف على حسب مصلحة الشخص ومنفعته أما الدين الحقيقي الذي يحكم سلوك الناس فهو منفعتهم وأما ربهم المعبود فهو المال كما ترى الفلسفة البراجماتية .
- ٤- لكي نحدد موقعنا -نحن المسلمين- من المفاهيم البراجماتية خاصة

والمفاهيم الغربية عامة لا بد أن نقرر أن العقيدة الإسلامية هي منطلقنا الوحيد التي تتحدد على أساسه كافة مواقفنا الإسلامية .

٥- إن كثيراً من المفكرين العرب والمسلمين قد تأثروا بأراء وأفكار الفلسفة البراجماتية في مجال التربية ونقلوها كما هي في كثير الأحيان مع أن بعض الأراء تشكل خطورة على المجتمع الإسلامي وهذا لا يجوز لأن المجتمع الذي نشأت فيه النظرية البراجماتية يختلف عن مجتمعنا الإسلامي . ونحن أمة لها تراث ماضٍ عريق ، وقبل كل شيء وأهم من أي شيء لنا عقيدة كرمنا الله سبحانه وتعالى بها ويحمل لواء الإسلام ونشره في أرجاء المعمورة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ . (آل عمران : ١١٠)

لذا يجب أن تكون جميع أعمالنا منطلقة من المنطلقات الإسلامية الواضحة ، بل يجب علينا أن نقيس كل ما يأتينا من الشرق أو الغرب ، ونجعل الميزان والمقياس في ذلك كله " الدين الإسلامي " وتعاليمه السمحة .

ثانياً: التوصيات:

وعلى ضوء ما أسفر عنه البحث من نتائج يوصي الباحث بالآتي :

١- يوصي الباحث الدارسين من طلبة العلم في كليات التربية في جامعاتنا

المختلفة أن يتوافروا على دراسة الفلسفات الغربية الأخرى التي أثرت في ثقافتنا المعاصرة دراسة واعية تقوم أسس علمية سليمة تستخلص منها الصالح النافع وترد ما سواه مما يتعارض مع فكرنا وقيمنا الإسلامية ومن أبرز تلك الفلسفات الوجودية والماركسية والمثالية وغيرها وأن يكشف النقاب عن مساوئ تلك الفلسفات التي ظلت ردحاً من الزمن تخفي ما بها من زيغ وضلال وانحراف عن أعين الناس .

٢- يوصي الباحث الدارسين في مجال الاقتصاد ، والعقيدة ، بدراسة الفلسفة البراجماتية في مجال الاقتصاد وفي مجال العقيدة .

٣- التربية الإسلامية لها اسهامات في شتى المجالات فعلى المسلم أن يرجع إلى أصولها ومصادرها (الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح) ويجد فيها ما يفيد في تربية النشء كما يريد الله سبحانه وتعالى .
قال تعالى :

﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ... الآية ﴾

(يوسف : ١٠٨) .

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أبو الحسين ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .

ثانياً : المراجع :

- ٣- الأهواني ، أحمد فؤاد ، جون ديوي ، ، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٨ م .
- ٤- الأهواني ، أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام أو التعليم في رأي القابسي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٦٧ هـ .
- ٥- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم ، النبوات ، دار القلم بلبنان ، بيروت ، د.ت .
- ٦- ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، دار الشعب ، القاهرة ، د.ت .
- ٧- أحمد ، سعد مرسي ، تطور الفكر التربوي ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب بمصر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٨- الجيار ، سيد إبراهيم ، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٧٨ م .

- ٩- الشيباني ، عمر محمد التومي ، تطور النظريات والأفكار التربوية ، الطبعة الأولى ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، ١٩٨٧ م .
- ١٠- الخولي ، جمعة ، الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها ، الطبعة الأولى ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٩٨٦ م .
- ١١- الصراف ، نوال ، المرجع في الفكر الفلسفي ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢ م .
- ١٢- العقاد ، عباس محمود ، التفكير فريضة إسلامية ، دار الكتاب العربي ببلبنان ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- ١٣- الكيلاني ، ماجد عرسان ، فلسفة التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مكتبة هادي ، مكة المكرمة ، ١٩٨٨ م .
- ١٤- الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها ، دار العرب ، مكة المكرمة ، ١٩٧٠ م .
- ١٥- الميداني ، عبد الرحمن حبنكة ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع ، الطبعة الأولى ، دار الفكر بدمشق ، ١٩٧٩ م .
- ١٦- إنتصار ، عبد المجيد ، الفلسفة والفكر الإسلامي ، البيضاء ، ١٩٨٥ م .
- ١٧- النيفر ، محمد الشاذلي ، أسس التربية الاجتماعية في الإسلام ، بحث مقدم لندوة خبراء أسس التربية الإسلامية المعقدة من ١١-١٦ جمادى الثاني ١٤٠٠ هـ .

١٨- بيسار، محمد، العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع ،

الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠م .

١٩- جلال ، عبد الفتاح ، من الأصول التربوية في الإسلام ، المركز الوظيفي

للكبار في العالم العربي ، مصر ، ١٩٧٧م .

٢٠- جيمس ، وليم ، البراجماتية ، ترجمة : محمد علي العريان ، القاهرة ،

عام ١٩٦٥م .

٢١- حسن ، محمد يوسف ، فلسفة التربية في عالمنا المعاصر ، دار فجر

الإسلام ، ١٩٨٣م .

٢٢- خليفة ، حاجي مصطفى عبد الله ، كشف الظنون عن الفكر التربوي عند

العرب ، منشورات النادي الثقافي لدار المعلمين ، تونس ، ١٩٧٣م .

٢٣- ديوي ، جون ، نمو البراجماتية الأمريكية فلسفة القرن العشرين ، ترجمة :

عثمان نوبه ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٣م .

٢٤- ديوي ، الديمقراطية والتربية ، ترجمة : نظمي لوقا ، مكتبة الانجلو

المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م .

٢٥- ديوي ، جون ، الديمقراطية والتربية ، ترجمة : متى عقراوي ، زكريا

ميخائيل ، ١٩٤٦م .

٢٦- ديوي ، جون ، الخبرة والتربية ، ترجمة : محمد رفعت رمضان ، نجيب

اسكندر ، الطبعة الثانية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧م .

٢٧- ديوي ، جون ، التربية في العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد ،

محمد حسن المخزنجي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، د.ت .

٢٨- ديوي ، إيفلين ، جون ديوي ، ترجمة : عبدالفتاح المنيماوي ، مكتبة

النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

٢٩- سرحان ، الدمرداش وآخرون ، المنهاج ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، عام

١٩٦٦ م .

٣٠- سليمان ، عرفات عبد العزيز ، اتجاهات التربية عبر العصور ، الأنجلو

المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

٣١- شلبي ، أحمد ، تاريخ التربية الإسلامية ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو

المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ م .

٣٢- شلتوت ، محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق ، بيروت ،

١٩٧٥ م .

٣٣- صليباً ، جميل ، المعجم الفلسفي ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب اللبناني ،

١٩٧١ م .

٣٤- عبد الرحمن ، عائشة ، الشخصية الإسلامية ، دار العلم للملايين ،

بيروت ، ١٩٧٣ م .

٣٥- عبد الرحمن ، هاني ، فلسفة التربية ، عمان ، ١٩٦٧ م .

٣٦- عبد العظيم ، علي ، فلسفة المعرفة في القرآن الكريم ، مجمع البحوث

الإسلامية ، سلسلة البحوث الإسلامية ، العدد ٦٥ ، القاهرة ، يونيه ١٩٧٣ م.

٣٧- عبد الدائم ، عبد الله ، التربية عبر العصور ، الطبعة الثالثة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٨ م.

٣٨- عبد العزيز ، صالح ، التربية وطرق التدريس ، الناصر دار المعارف بمصر ، الجزء الثاني ، ١٩٧١ م .

٣٩- عبد العزيز ، صالح ، التربية الحديثة مادتها مبادئها تطبيقاتها العملية ، الجزء الثالث ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ م.

٤٠- علي ، سعيد إسماعيل وآخرون ، دراسات في فلسفة التربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

٤١- قطب ، محمد ، دراسات في النفس الإنسانية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٠ م .

٤٢- قطب ، محمد ، مفاهيم ينبغي أن تصحح ، الطبعة الثالثة ، دار الشروق ، ١٩٨٨ م.

٤٣- كلباترك ، وليم هيرد ، أصول المنهج الجديد ، ترجمة : أبو الفتوح رضوان ، محمد الهادي عفيفي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م.

٤٤- مبروك ، محمد إبراهيم ، الإسلام النفعي ، دار النشر والتوزيع الإسلامية ، ١٩٨٩ م .

٤٥- مرسى ، محروس سيد ، التربية والطبيعة الإنسانية ، الطبعة الأولى ، دار

المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٨ م .

٤٦- مرسى ، محمد منير ، فلسفة التربية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٢ م .

٤٧- نيلر ، جورج - ف ، فلسفة التربية ، ترجمة : نظمي لوقا ، مكتبة الأنجلو

المصرية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٤٨- وين ، رالف - ن ، قاموس جون ديوي للتربية ، ترجمة : محمد علي

العريان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .